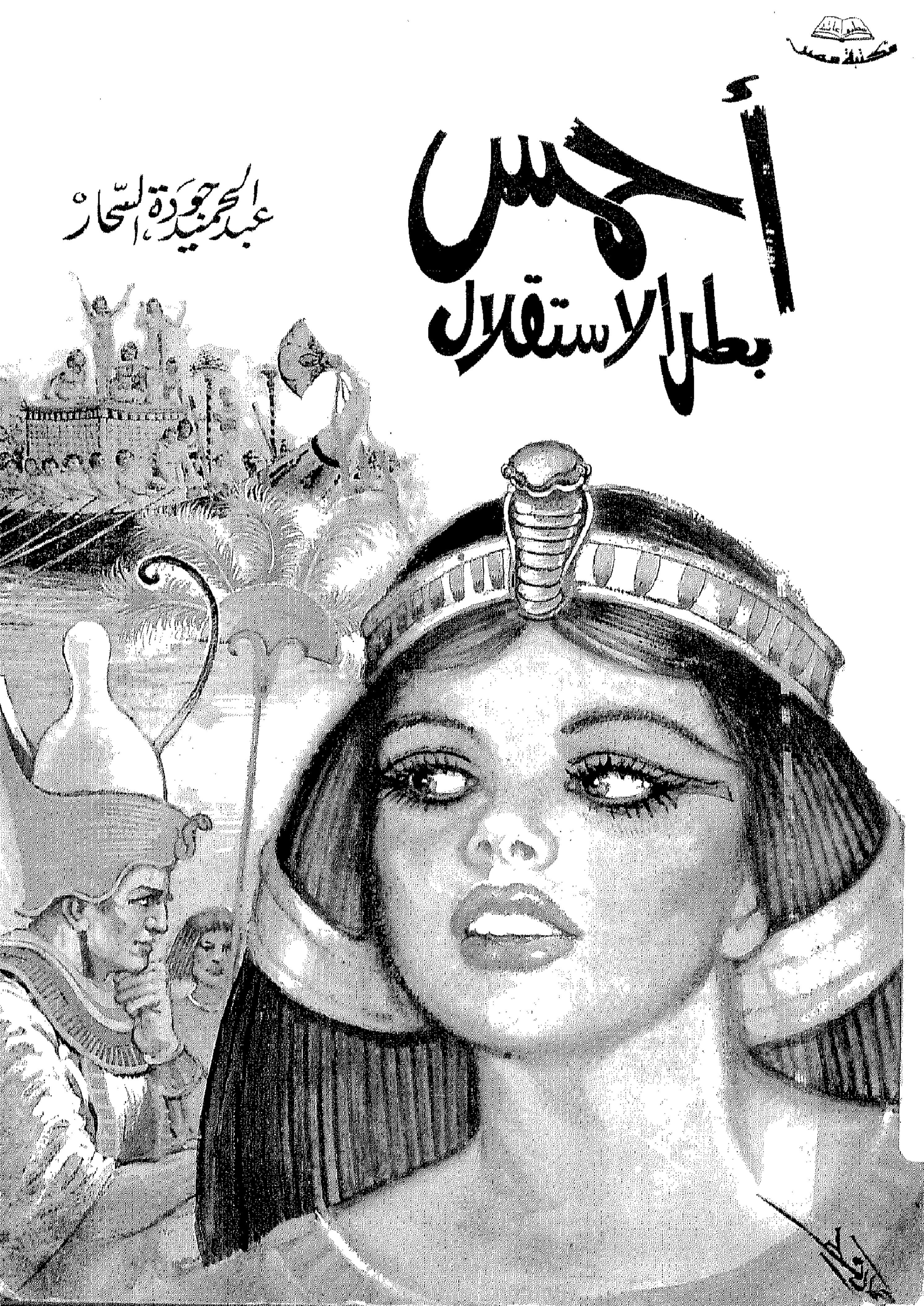

مكتبة مصر
أحمس
بطل الاستقلال
عبد الحميد جودة السحار

أحمس بطل الاستقلال

باكورة اعمال المؤلف

مطبوعات مكتبة مصر

أُحْمُسْ
بَطل الاستِقلال

عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي الفجالة

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

لمحة تاريخية

حوالى سنة ١٧٨٥ قبل الميلاد انهارت الأسرة الثانية عشرة واعتصمت مصر بوحدتها بضع سنين ، ثم نشبت بين الأمراء منازعات داخلية ، وبذلك ابتدأ عصر من أظلم عصور التاريخ الفرعونى استمر قرنين من الزمان ، حكم البلاد خلالهما ملوك ضعاف كونوا الأسرتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة .

وفى عصر الملك « فيمايوس » أغار على مصر قوم شرقيون عرفوا بالهكسوس ، و قد نعتهم المصريون بالقذرين وبالرعاة تحقيرا لهم ، قدموا بخيولهم التى لم يكن للمصريين بها عهد من قبل من ناحية الشام وكانت تعرف فى ذلك الوقت باسم « زاهى » » واستولوا على الوجه البحرى ، وأخضعوا الحكام العظام ، وبغوا وطغوا فى البلاد : فأحرقوا المدن وهدموا المعابد وسبوا النساء والأطفال وفرضوا الجزية على جميع الأمراء وأذاقوا المصريين ألوانا من العذاب . ولما استتب لهم الأمر ملكوا عليهم رئيسا منهم يدعى سلاطيس اتخذ مدينة منف مقرا له ، ووزع القوات الحربية على البلاد حتى لا تثور ، ووجد مدينة شرقى النيل بجوار تل بسطة بالوجه البحرى ، فجدد بناءها وحصنها بأسوار

قوية منيعة من جميع جهاتها وسماها « أواريس » . وكان سلاطيس ينتقل إليها فى صيف كل عام ليجمع الحبوب ويدفع مرتبات الجنود ويمرن قواته على الأعمال الحربية . وقد تمكن الهكسوس بعد ذلك من بسط سلطانهم على الجنوب ، فغدت أواريس عاصمة الوجهين القبلى والبحرى ، وأضحت مقر عبادة المعبود سوتنخ الذى كان الهكسوس يدينون له .

أصل الهكسوس : والغالب أن هؤلاء المغتصبين كانوا من أصل عربى ، وأنهم خرجوا من جزيرة العرب موطنهم الأصلى ، وفتحوا الشام ومن ثم اتجهوا إلى مصر ، وليس هذا بمستبعد فقد حدث مثله فى العصر الإسلامى .

وقد وجد للهكسوس آثار فى بلاد غير مصر مما يدل على أن إمبراطوريتهم كانت عظيمة مترامية الأطراف . وقد اندمج الغزاة بالمصريين وأخذوا عنهم عاداتهم ، وحاكوهم فى الملبس وتزوجوا منهم وسموا أنفسهم « أبناء الإله رع » كما كان يفعل ملوك الفراعنة . وعلى الرغم من هذا كله فإن المصريين لم ينسوا لهم قسوتهم يوم جاءوا فاتحين ، فكانوا ينتهزون فرص ضعفهم ليثوروا عليهم وليعملوا على تخليص البلاد منهم .

كرت السنون واستنام ملوك الهكسوس ودب الضعف فى أوصال مملكتهم ، فهب أمراء طيبة لتحرير الوطن وتمكنوا من تحرير الوجه القبلى وجعلوا عاصمته طيبة « الأقصر » وأصبحت مقر عبادة آمون معبود المصريين . وقامت منافسة كبيرة بين عبادة سوتنخ وعبادة آمون سنشير

إليها فى قصتنا هذه .

ولما تولى الحكم الملك الهكسوسى أبوبى وكان جبارا قويا ، صمم على محاربة أمير طيبة ليكسر شوكته وليمد سلطانه على الجنوب ، فأرسل لأمير طيبة « سكنن رع » وفدا يشكو أن الضجة التى تحدثها أفراس البحر المقدسة فى بحيرة بالقرب من طيبة « الأقصر » تحرم جلالته لذة النوم ، لأن أصواتها المزعجة ترن فى أذنى جلالته ليلا ونهارا ، لذلك فقد عزم جلالته على القدوم ليقتلها . ولما كانت تلك الرسالة لايستسيغها عقل ، لأنه من غير المعقول أن تصل أصوات مهما علت من طيبة بالوجه القبلى إلى أواريس بالوجه البحرى ، أيقن الأمير سكنن رع أن الملك أبوبى يتجنى عليه ، وأن تلك الشكوى ما هى إلا دعوة مقنعة للقتال . فلم ينتظر حتى يعلن الملك أبوبى الحرب عليه بل بادر هو إلى إعلانها ، وخرج إليه بجيشه والتقى الجمعان فى معركة سقط فيها الأمير سكنن رع صريعا ، ووجدت آثار إصابات قاتلة برأسه . ثم تولى حكم الجنوب بعده الأمير كاموس وحكم فترة وجيزة ، وكانت أمنيته أن يطرد المغتصبين ولكن عاجلته المنية قبل أن يحقق ماتمنى .

وورث عنه الحكم ابنه أحمس الأول بطل أول استقلال فى تاريخ مصر القديم ، وتقع حوادث هذه القصة فى عصره ، وبانتصاره على الهكسوس أسس الأسرة الثامنة عشرة .. أسرة الفتوحات الفرعونية العظيمة .

١

باك ان آمون وديدى

كان السكون مخيما على الكون ، وكان الظلام ناشرا ألويته ، ولم يكن يعكر سكون الليل سوى ارتطام مياه النيل بالشاطىء ، ووقع أقدام ايب وهو يذرع الشاطىء جيئة وذهوبا . وكان ايب كلما شعر بالتعب جلس على حجر ، ثم لا يلبث أن يقوم فيستأنف سيره وهو بادى القلق .. ينظر إلى النهر بين الفينة والفينة بشرئب بعنقه القصير ، ويقف على أطراف قدميه لعله يلمح مركبا قادما نحوه ، ولما طال به الانتظار نزل فى الدرج الذى يصل الشاطىء بمرسى المراكب ، وجلس على الدرجة الأخيرة وأخذ بضع حصيات راح يلقيها فى الماء ويرقب تلك الدوائر التى تبتدىء صغيرة ثم تنداح رويدا رويدا حتى تختفى عن ناظريه ، يقطع الوقت بذلك .

وابتدأت جيوش النور تدحر جيوش الظلام ، وبدت طلائع النهار ، ولمح إيب فى الأفق البعيد مركبا يتهادى ، فنهض من مكانه وهرول على الشاطىء متجها نحوه ، ولما أضحى فى محاذاته راح يهتف :

« ديدى ! ديدى ! باك ان آمون ! باك ان آمون !

ولكنه لم يسمع لهتافه جوابا . واقترب المركب من الشاطىء فلوح إيب بيده إلى من فيه ، وصاح بصوت عال :

ــ ديدى .. باك ان آمون .

فسمع صوتا من المركب يقول :

ــ من الهاتف ؟

ــ أنا إيب .

ودخل المركب المرسى .. فقفز باك ان آمون إلى الشاطىء ، وكان يلبس مئزرا مثبتا حول وسطه يصل إلى ركبتيه ، وكان نصفه الأعلى عاريا وفى رجليه نعلان من البردى ، فابتدره إيب سائلا :

ــ أين ديدى ؟

ــ قبض عليه وسجن بأواريس .

ــ يا للكفرة القذرين ! . ولم ؟ .. وكيف ؟

ــ إنها قصة طويلة ، سأقصها على الأمير .

ــ إذن أسرع ، فمولاى فى انتظارك .

وسار الرجلان صامتين حتى وصلا إلى أحياء طيبة الآهلة بالسكان ، ومن ثم دلفا إلى أحياء الأغنياء ، فلاح لهما عن بعد قصر الأمير بأشجار نخيله العالية ، وأشجار التين والجميز الباسقة الوارفة الظلال .

ودخلا من باب القصر الخارجى ، وسارا فى الحديقة الجميلة حتى بلغا باب القصر الضخم فدلفا منه إلى بهو الاجتماع العظيم ، وكانت جدراته مزينة بأبدع الرسوم وأزهى الألوان ، وكان سقفه مقاما على

أعمدة بديعة الصنع على شكل سيقان اللوتس . وجدا فى السير حتى وصلا إلى باب فى نهاية البهو ، دخلا منه واتجها إلى غرفة الاستقبال ، وقال إيب :

ـ انتظر حتى أنبيء مولاى بوصولك .

وقصد إيب إلى غرفة الأمير الخاصة فألفاه مكبا على تقارير كانت قد وصلت إليه أخيرا من الحبشة ، فما أحس بحركة عند الباب حتى رفع وجهه ، فرأى إيب منحنيا رافعا يده بالتحية وهو يتمتم : « مولاى » فسأله الأمير :

ـ هل عاد باك ان آمون وديدى ؟

ـ عاد باك ان آمون وحده يا مولاى .

ـ وديدى ؟

ـ قبض عليه يامولاى .

فلما سمع الأمير أحمس ذلك هب واقفا وصاح :

ـ قبض عليه ؟ كيف ؟

ـ لا أدرى يامولاى .أأدعو باك ان آمون للمثول بين يديكم ؟

ـ لا .. بل سأذهب أنا إليه .

ولم يكد الأمير أحمس يتم كلامه حتى ترك الغرفة ، وسار فى دهليز القصر بخطا واسعة ودخل غرفة الاستقبال ، وسأل باك ان آمون:

ـ أين ديدى ؟

ـ قبض عليه فى أواريس يامولاى ، وسجن .

ـ من قبض عليه ؟

ـ أمر ملك الهكسوس جنوده باعتقاله .

ـ ولم ؟ ..

ـ ذهبنا يامولاى إلى أواريس كما أمرتنا ، وتعرفنا بكبار المصريين هناك .. ودعانا أحدهم إلى وليمة كبيرة بقصره فلبينا الدعوة ، ولما دخلنا إلى بهو الاجتماع ذاع بين المدعوين أننا من الجنوب فالتفوا حولنا، وطفقوا يسألوننا عن أحوالنا وأحوال أميرنا. وكان ديدى يجيب عن أسئلتهم بلباقته ، حتى إنه جذب إليه نفوس الناس فأظهروا لنا حدبا وعطفا عظيمين . وقد اشتدت حماستهم لما أنبأهم ديدى أن أميرنا أحمس سيعمل على طرد الهكسوس من أرض الوطن . فقال أحدهم إنهم على أتم استعداد ليمدونا بالمال إن كان المال ينقصنا ، وقال آخر إن يوم انتصارنا على هؤلاء المغتصبين سيكون أعظم يوم فى تاريخ مصر ، وإنه يتمنى لنا النصر من كل قلبه . وقد سألهم ديدى عن سبب إحجامهم عن العمل على تكوين جيش ، واشتراكهم معنا فى طردهم وتطهير البلاد منهم ، فقالوا إنهم لو كانوا يستطيعون ذلك لفعلوه ، ولكن ملك الهكسوس يبث عيونه فى كل مكان وهو يأخذ بالشدة كل من توسوس له نفسه بالخروج عليه . وقد أخبرنا أحدهم أن شابا أنكر فى جمع من أصحابه أن ملك الهكسوس من « أبناء الإله رع » ، لأنه لايمكن أن يكون أبناء الإله رع أجانب غير مصريين ، فكان نصيبه القتل والتمثيل بجثته . وكان أهل الشمال يذكرون فى أحاديثهم أنهم لاينسون للمغتصبين عبثهم بالبلاد يوم جاءوا فاتحين، ولابغيهم وطغيانهم ولا

إحراقهم المدن ولاتهديمهم المعابد ولاتقتيلهم الأبرياء ولا أسرهم النساء والأطفال . وقد كان بين هؤلاء القوم شاب يدل مظهره عل الغنى ولكنه لم يكن كأبناء الأغنياء الخاملين بل كان يشتعل غيرة وحماسة ، فانتحى به ديدى ناحية وراحا يتحادثان إلى أن انصرف المدعوون .

وقال لى ديدى ونحن فى الطريق « لقد عثرنا على بغيتنا فى أواريس » فقلت له « أى بغية تعنى ؟ » فقال « عثرت الليلة على شاب نادر ، شاب مصرى غيور .. آماله كآمال الأمير ، وتفكيره كتفكيره . إنه ضالتنا فى الشمال وستتحقق ذلك عندما نزوره غدا » .

فقلت له « هل تواعدتما على اللقاء غدا ؟ إنك عظيم ياديدى ».

وماكادت شمس اليوم التالى تبزغ حتى كنا فى طريقنا إلى منزل ذلك الشاب ، ولما بلغناه ألفيناه قصرا منيفا ، فتقدم ديدى من الخادم الجالس خلف الباب وسأله عن سيده ، فأخبره أنه ينتظرنا فى منظرة الحديقة ، فسرنا حتى بلغناها فألفينا الشاب فى قميص الصيد ، فقام لنا ورحب بنا وأجلسنا بجواره . وقال ديدى للشاب «هذا رفيقى باك ان آمون وهو من أخلص أعوان الأميرأحمس ويسره التعرف بكم » ثم التفت إلى وقال « إنك فى حضرة السيد هورداديف الذى نأمل الخير الكثير على يديه » . فقال له ديدى «ستبلغه ذلك ، وسيسر مولاى كثيرا لوجود مخلصين فى الشمال مثلك » . فقال « أرجو أن تبلغاه كذلك أنى سأجمع الأعوان حتى إذا ماحانت الساعة وأرجو أن تكون قريبة هببنا جميعا لطرد الغاصب الدخيل » . فقلت له « ثق ياسيدى أن النصر قريب » . ثم استأذنا وخرجنا ، وفى طريقنا إلى النيل حيث كان

مركبنا سمعنا صوت أبواق ودفوف ، فذهبنا لنرقب ما هناك فرأينا ملك الهكسوس الملعون فى موكب فخم ، فسألنا عن وجهته فقيل لنا إنه يقصد معبد الإله سوتنخ الذى بناه ملكهم أبوبى ، فانتظرنا إلى أن انتهى موكب الملك وأدرنا ظهورنا لنعود إلى مركبنا ، ولكن ديدى قال « أمامنا متسع من الوقت ، فتعال نشاهد معابدهم وآلهتهم » . ولما كنت فى شوق إلى ذلك لم أتردد بل قبلت الفكرة ، واتجهنا إلى المعبد .

وكان المعبد يحاكى معابدنا تماما فهو ينقسم إلى فناء خارجى لعامة الشعب وفناء داخلى لخاصتهم ، فوقفنا فى الفناء الخارجى ، وساد الصمت فى المكان وكان جل الحاضرين من الهكسوس ، وأطلق البخور وارتفع صوت الكهنة بالترتيل ، وراح الكاهن الأعظم يرتل أنشودة « ما أعظمك يا سوتنخ » ! وما كاد يبدأ حتى تمتم ديدى « بل ما أعظمك ياآمون ! »

فقال الأمير أحمس : يا له من معتوه ! كيف يتفوه بذلك فى معبدهم ؟ ثم ماذا حدث بعد ذلك ؟

ـ صاح أحد المصلين بديدى « خسئت ! » فلم يكتف ديدى بذلك بل أضاف « إلهى آمون .. عون الفقراء ومقسم الأرزاق » . فهاج المصلون وماجوا والتفوا حوله ، ووصل الخبر إلى مسامع الملك وعلم أن معتوها من الجنوب يسخر من سوتنخ فأمر بالقبض عليه ، فتقدم أربعة من الجنود شاهرين سلاحهم وقبضوا على ديدى فلم يبد أية مقاومة ، وساروا به إلى سجن القصر فسرت خلفهم واستمررت فى مراقبتهم حتى غابوا عن ناظرى فى القصر ، فرحت أحوم حوله كما تحوم الفراشة حول

النار . ولما خشيت افتضاح أمرى تركت القصر وسرت فى المدينة لا ألوى على شىء أخبط على غير هدى ، وكنت كالغريق لا أدرى ماذا أفعل . وسمعت بعضهم يتحادثون .. قال أحدهم : « وقد صدر الأمر بجلده غدا فى الساحة المواجهة للقصر » فاقتربت منهم وأرهفت السمع ، فكان حديثهم يدور حول ديدى وما فعله فى المعبد فعلمت أن المسكين سيجلد فى اليوم التالى .

ذهبت لأبيت ليلتى ولكن لم تغمض لى عين طول الليل . وفى الصباح الباكر توجهت إلى الساحة فكنت أول من وصل إليها . وابتدأ سيل الجماهير يتدفق إلى أن غص المكان ، وفتح باب القصر أخيرا فساد السكون واشرأبت الأعناق وشخصت الأبصار وطفقنا جميعا نرقب الباب .. فخرجت منه ثلة من الجنود من حاملى الرماح وانتشروا فى الميدان ليحافظوا على النظام ، ثم دوى صوت بوق فتطلع الشعب إلى شرفة الملك فرأوه يظهر فيها مطلا على الساحة . وفى نفس الوقت جىء بديدى مكبلا بالسلاسل بين صفين من الجنود ، ولما بلغ وسط الميدان تقدم منه جنديان وربطا الأغلال التى فى يديه ورجليه إلى عمود قصير مثبت فى الأرض ، فاشتد وجيب قلبى ولم أعد أسمع سوى ضرباته القوية . وانتشر الجنود فى الميدان ، ثم خرج من القصر عبد أسود ضخم الجسم مفتول العضلات فى يده سوط كبير ، فاتجه إلى حيث كان ديدى ورفع السوط والتفت إلى شرفة الملك فأذن له بالضرب ، فنزل بالسوط على ظهر ديدى وكان صوته يحز فى نفسى حزا ، واستمر العبد يضربه بوحشية وقسوة والعرق يتصبب من جسمه الأسود ، وكدت أصيح أكثر

من مرة ولكنى كنت أكتم أنفاسى خشية انكشاف أمرى. وقد أشاح معظم الموجودين بوجوههم ورأيت الدمع يترقرق فى أعين الواقفين بالقرب منى ، وقد أغمى على سيدة صغيرة من هول المنظر .

وظهر على العبد الأسود الإعياء فالتفت إلى الشرفة ثانية ، فأشار الملك بيده فكف عن الضرب وطوى السوط وحمله وسار والناس ترمقه ، إلى أن غاب فى القصر .

وتقدم الجنود من ديدى فحملوه بينهم وغابوا فى القصر ، ثم أغلقت الأبواب خلفهم وانصرفت الجماهير كل لشأنه ، وبقيت فى الميدان وحدى مطأطىء الرأس شارد الفكر كسيف البال لا أدرى ماذا أفعل ولا إلى أين أتجه . أأعود إلى طيبة وأترك ديدى ؟.. أم أنتظر ما يجد من الأمور ؟ وبينا أنا فى حيرتى ، إذ شعرت بيد على كتفى فالتفت خلفى، فرأيت هورداديف فلم أتمالك نفسى وسقطت دمعة من عينى وتمتمت : « مسكين ديدى ! أخشى أن يكون قد مات » فطمأننى هورداديف وأخذنى إلى قصره وسألنى عما نويت عمله ؟ فأخبرته أنى لن أعود إلى طيبة إلا إذا كان ديدى معى ، وأنى سأبذل كل ما فى مقدورى وما فوق مقدورى لتخليصه أو أموت معه ، فطلب منى أن أترك له ذلك وأن أعود إلى طيبة من فورى ، فرفضت وقلت له : وماذا أقول لمولاى لو سألنى عن ديدى ، أأقول له قتل أم أقول له سجن ؟ لن أعود إلى طيبة من غير ديدى » . فقال لى « لأن يعود أحدكما خير من ألايعود كلاكما ».فلما تيقن إصرارى على البقاء طلب منى أن أستريح إلى أن يتنسم الأخبار ، وقادنى إلى حجرة نومه وخرج .

وحاولت أن أهجع ولكن أنى لى ذلك وصورة ديدى تترا ءى لى ، فكنت أمر بيدى على وجهى لأطرد تلك الصور المتلاحقة التى تمر بمخيلتى ، فهذا ديدى وهذا العبد الأسود بسوطه وهذا الملك فى شرفته . لا ، إنى لا أستطيع النوم .

وهممت بالخروج أكثر من مرة ولكنى كنت أسأل نفسى إلى أين أذهب ؟ وانتظرت هورداديف بقلق ، وأحسست أن جو الغرفة أصبح خانقا لا يطاق ففتحت الشرفة ووقفت بها أنظر إلى الطريق . وانتصف النهار ولم يعد هورداديف . وقدم إلى الطعام وبالرغم من أنى لم أتناول طعاما منذ صبح اليوم السابق .. لم أتناول سوى قطعة صغيرة من لحم البط وقدح من الجعة . وأخيرا شعرت بثقل فى جفونى فحملت نفسى حملا حتى بلغت الفراش وألقيت بنفسى فيه فرحت فى سبات عميق .

واستيقظت على صوت هورداديف فى الردهة الخارجية ، وكانت الغرفة مظلمة موحشة فعلمت أن النهار قد ولى وأن الليل قد أقبل ، فتركت الفراش وفتحت الباب فألفيت هورداديف مدبرا فناديته ، فقال « هل استيقظت ؟ لقد فضلت أن أتركك تستريح حتى الصباح » . فقلت له « هل عندك أخبار عن ديدى ؟ » فقال « سينقلونه غدا إلى سجن فى خارج المدينة » . فسألته « وماذا نحن فاعلون ؟ فقال « سنحاول كل ما فى مقدورنا ، ادخل إلى غرفتك حتى الغد » . وتركنى وانصرف .

واستلقيت فى الفراش فرأيت ديدى وقد سار بين أربعة من الجنود فى بقعة مقفرة . ورأيت أننا هاجمناهم وخلصناه منهم ، وشعرت بموجة من السرور تكتنفنى . ولكنى ما لبثت أن هبطت من سماء خيالى

فرأيت نفسى فى مضجعى يفرق بينى وبين ديدى بيوت وأحياء ، وجنود وأسوار ، فانقبض صدرى وانتابتنى الوساوس حتى مطلع الفجر . فتركت الفراش وحملت خنجرى ، وبعد قليل دخل هورداديف فتركنا القصر معا .

وفى الطريق قابلنا ستة من أعوان هورداديف وهم فى عدة القتال ، فانضممنا إليهم وسرنا متسللين حتى بلغنا ظاهر المدينة ، فأغذذنا السير حتى وصلنا إلى بقعة مقفرة بها كثبان عالية من الرمال ، فقال هورداديف « سيمرون من هنا .. تعالوا نكمن خلف هذه الربوة .فتوجهنا إلى الجهة التى أشار إليها ، وصعد أحد أعوانه فوق الربوة وأخذ يرقب الطريق . وبعد هنيهة أخبرنا بمقدمهم، فرميت بنظرى فرأيت أشباحا قادمة أخذت تقترب حتى استطعت أن أميزها . رأيت صفين من الجنود لايقلان عن ثلاثين بينهما مساجين مقيدون .. واقتربوا منا فازداد خفقان قلبى وجرى الدم حارا فى عروقى ، فاستللت خنجرى وتأهبت للهجوم ، ولكن هورداديف قبض على يدى وجذبنى إليه وهمس « لاتكن معتوها » . وحاولت أن أفلت من يده ولكنه كان يقبض على معصمى بيد من حديد ، وقال « لاتتحرك .. لو شعروا بنا لقتلونا جميعا . إن عددهم أكثر منا ، ما نستطيع فك أسره الآن » .

وكان وجه ديدى أصفر يحاكى وجوه الموتى ، وكان يسير بخطا ثقيلة غير متزنة ، وكان يترنح من شدة الألم ، فكدت أصيح « ديدى »!

ولكن هورداديف نظر إلى فى حزم فاحتبس الصوت فى صدرى، وابتعد الجنود والمساجين حتى غابوا عن ناظرى فتمتمت «ديدى ...

ديدى ... وداعا يا ديدى » . وأطرقت برأسي يائسا ، وأظلمت الدنيا فى وجهى وضاقت على رحبها أمام عينى . وساد الصمت بيننا إلى أن قطعة هورداديف قائلا « ماذا أقول لمولاى ؟ » فقال لى « قل له إن عبده هورداديف قد أقسم على أن يخلص ديدى ولو اضطر إلى دك السجن دكا » وساروا وسرت معهم وأنامسلوب الفكر مبلبل البال ولم أشعر إلا ونحن نسير على شاطىء النيل وهورداديف يقول لى « خذ مركبك وسر، حفظتك الألهة » .

فاتجهت إلى المركب بقلب كسير ، وأقلع بى ووقف هورداديف على الشاطىء يلوح لى بيده حتى غاب عن عينى .

وانتهى باك ان آمون من حديثه ووقف مطرقا .

فقال الأمير أحمس : وحق آمون لأهدمن معبدهم هذا لو قدر لى أن أدخل أواريس .

فقال باك ان آمون : ستدخلها ظافرا يامولاى .

وخرج باك ان آمون ، والتفت الأمير أحمس لإيب وقال :

اذهب إلى بهو الاجتماع ، وانظر من هناك .

فدخل إيب البهو فألفى الأمير أونش وأحمس بن ابانا جالسين متقابلين وبينهما منضدة فوقها رقعة كرقعة الشطرنج وكانا منهمكين فى تحريك القطع التى عليها ، فاتجه إليهما وحياهما ، فردا عليه التحية فى فتور دون أن يرفعا رأسيهما ، فتركهما واتجه إلى الناحية الأخرى من البهو حيث كان طبيب الأمير الخاص يتحدث مع بعض الأمناء ، فحياهم . فقال الطبيب : إن صحتك اليوم على مايرام ياسيد

إيب ، إنك تبدو كابن العشرون .

فقال إيب : وهل جاوزت ذلك إلا بقليل ؟

فضحك الحاضرون وقال أحد الأمناء : إنى عندما التحقت بخدمة الأمير كاموس ـ والد مولاى الأمير أحمس ـ من نيف وعشرين سنة كان إيب على هيئته هذه .

وقال إيب : وسأستمر على هيئتى هذه عشرات السنين بفضل طبيب مولاى .

واتجه إلى الناحية التى كان بها الضباط والعراف فحياهم ، وقال للضباط :أأنبأكم العراف بما يخبئه لكم القدر ؟

فقال أحد الضباط : أنبأنا بأخبار ونبوءات لوتحققت لكنا من المخلدين ، قال إننا سنطرد المغتصبين وسندخل بلادا لم تطأها أقدامنا من قبل .

فقال العراف : ستسجلون صفحة من نور فى تاريخ مصر ، إن مجدا عظيما ينتظركم .

فقال إيب : حقق آمون الرجاء .

ثم تركهم وعاد إلى مولاه .

وفتح باب البهو على مصراعيه وظهر الأمير أحمس ، فانحنى له الجميع ورفعوا أيديهم بالتحية ، واتجه الأمير أحمس إلى حيث كان الأمير أونش وأحمس بن إبانا وابتدرهما : من الغالب ؟

فقال أحمس بن إبانا : سل الأمير أونش يا مولاى .

فابتسم الأمير أحمس وقال للأمير أونش : أأفهم من هذا أن ابن

إبانا هزمك هذه المرة أيضا ؟

فقال الأمير أونش : إنه محظوظ يامولاى .

فقال الأمير أحمس : ولكنه يهزمك دائما .

فقال الأمير أونش : يظهر يا مولاى أن الذين يحملون اسم أحمس محظوظون دائما .

فقال ابن إبانا : بل قل إنهم مهرة عباقرة

فابتسم الأمير أحمس وصمت الأمير أونش ولم يجب ، واتجه الأمير إلى حيث كان الطبيب والأمناء فحياهم ، وقال الطبيب :

ــ ترفق بصحتكم يامولاى ، فمظاهر التعب بادية عليكم ... أتسهر كثيرا يامولاى ؟

ــ اطمئن أيها الطبيب ، قد كنت أدرس بعض تقارير وصلت إلى أخيرا وقد انتهيت من دراستها .

واتجه الأمير إلى العراف والضباط وقال للعراف :

ــ ما وراءك أيها العراف ؟ .

فقال العراف : سيكون عصرك يامولاى عصر يمن وإقبال ، وسيتم النصر على يديك ، وسيكون نصرك يامولاى غرة فى جبين مصر ، وستحكم الشمال والجنوب وتنصب ملكا على الوجهين البحرى والقبلى.

واقترب الأمير أونش وأحمس بن إبانا ، فقال العراف وهو يشير إلى الأمير أحمس بن إبانا :

ــ وستعثر يا مولاى على أحمس ثالث لكما فيتكون من ثلاثتكم

اتحاد عظيم .. سيطرد المغتصبين من أرض الوطن بفضل وطنيته وحنكته ومهارته .

فالتفت الأمير أحمس إلى أحمس بن إبانا وقال :

ـ أحمس ثالث ؟ ... هذا بديع .

ثم التفت الأمير أحمس إلى الضباط وقال :

ـ كيف حال أبناء مصر الحربيين .

فرد كبير الضباط : على خير حال يا مولاى .

ـ وهل يسير تدريبهم على مايرام ؟ .

قال الضابط : قد حصلنا يا مولاى على نتائج أعظم مما كنا نأمل ، إنهم صناديد أذكياء .

فقال الأمير أحمس : سأرى اليوم مبلغ ما وصلوا إليه وما تدربوا عليه .

وجلس الأمير أحمس والأمير أونش وأحمس بن إبانا فى صدر البهو ، وانتحى الضباط ناحية منعزلة ، وقال كبيرهم لواحد منهم :

ـ اذهب إلى المعهد فورا وبلغهم هذا النبأ السار .. أخبرهم أن يستعدوا للزيارة السعيدة .

والتفت الأمير أونش إلى الأمير أحمس وقال : يظهر يا مولاى أنكم لم تناموا النوم الكافى .

فقال الأمير أحمس : أجل يا أونش ، فقد تسلمت أول من أمس تقارير من الحبشة عكفت على دراستها الليل جميعه .

فقال الأمير أونش : ولمَ لم تتركها للصباح يامولاى ؟ إن صحتكم

ليست ملكا لكم وحدكم .

فقال الأمير أحمس : قد كانت تقارير هامة يا أونش .

ثم التفت إلى ابن إبانا وقال : تعلم يابن إبانا أننا أنا وزوجتى كنا قد أرسلنا فى طلب العون من أبيها لنجاشى الحبشة ، وقد عاد الرسول برسالة مسهبة منه يظهر فيها استعداده لإمدادنا بالجنود .

فقال الأمير أونش : أتظن يامولاى أنه يضحى بجنوده من أجلنا ؟

فقال الأمير أحمس : لم لا يا أونش ؟ إنه يعلم جيدا أننا لو طردنا الهكسوس لأصبحت ابنته ملكة على الوجهين البحرى والقبلى . أفلا يستحق ذلك منه تضحية ؟ !

فقال الأمير أونش : أتظن يامولاى أن جنوده تترك البلاد بعد طردهم الهكسوس ؟ ما الذى يضمن لنا أنهم لايضعون أيديهم على البلاد جميعها .

ــ لا يا أونش .. قد درست الرسالة فلم أجد بها سوى الرغبة الصادقة فى تقديم العون لنا . أضف إلى ذلك أنى قد احتطت لكل الاحتمالات .. فطلبت من النجاشى أن يمدنى بالجنود الذين أبدأ بهم الحرب إلى أن تتأجج نار الحماسة فى صدور المصريين فينضموا إلى الجيش طوعا . وعندئذ أعيد جنود النجاشى إلى بلادهم ويستمر المصريون وحدهم فى الحرب حتى النصر الأخير .

فقال الأمير أونش : إنى أخشى يا مولاى ..

ولم يتركه الأمير أحمس يتم كلامه بل قال فى حزم :

ــ لاتخش شيئا يا أونش ، فإنى قد عزمت .

فقال الأمير أونش : الأمر لكم يامولاى .

ثم غير الأمير مجرى الحديث فقال :

ـ هل علمتما أن ملك الهكسوس قبض على ديدى وجلده وأودعه السجن ؟

ـ لا يا مولاى ، لم ؟ ..

فقال الأمير أحمس : لأنه مجد آمون فى معبدهم .

ثم أردف : وحق آمون لأهدمن معبدهم هذا ولأمحون معالمهم من البلاد .

ونادى إيب وقال له : بلغ الخدم أن يجهزوا عربتى لأنى ذاهب لزيارة معهد أبناء مصر الحربيين.

وركب الضباط عرباتهم ، وركب الأمير أحمس وأحمس بن إبانا عربة الأمير ، وفتح باب القصر وخرج منه الركب .

والتفت للأمير أونش وقال : هل تأتى معنا ؟

فقال الأمير أونش : عندى من الشئون ما أريد قضاءه اليوم.. وأرجو أن يأذن لى مولاى بالانصراف .

فقال الأمير أحمس : تفضل يا أونش .

فترك الأمير أونش البهو ، وقصد الأمير أحمس نحو الضباط وقال: هيا إلى معهد أبناء مصر الحربيين .

٢

أحمس بن بنب

خرج الضباط بعرباتهم الحربية وساروا أمام عربة الأمير يفسحون الطريق ، وتبعهم الأمير فى عربته قابضا على زمام جواديها الكريمين بإحدى يديه ممسكا بالأخرى سوطا ، ووقف أحمس بن إبانا فى العربة عن يسار الأمير حاملا قوسه ، وفى جانب العربة الأيمن كانت جعبة السهام .

ولمح الجماهير الأمير فهتفوا له وانحنوا له باحترام ، فكان يرد عليهم تحيتهم بإيماءة وابتسامة لطيفتين . واستمر هتاف الشعب حتى بلغ الركب مكانا هادئا بطرف المدينة ، فالتفت الأمير إلى ابن إبانا وقال :

ـ ما رأيك فى الأمير أونش يابن إبانا ؟

ـ لم أستطع يا مولاى أن آخذ فيه برأى قاطع ، فطورا أجده مثال الرجل المتزن ، وطورا أجده مثال الرجل المراوغ المخادع .

ـ كأنهم كانوا يتنبئون بأخلاقه يوم سموه أونش ، أى الذئب .

ـ للاسم تأثير فى صاحبه يا مولاى .

ـ إنى لا أدرى لماذا يحاول الأمير أونش أن يثبط عزيمتى كلما تكلمت عن طرد الهكسوس.

ـ لعله يخشى الهزيمة يا مولاى .

ـ أيه هزيمة ؟ لو أننا هزمنا مرة فإننا سنعيد الكرة مرات حتى نحقق النصر الأخير . وحتى إن كتبت الهزيمة علينا فما الذى تخسره البلاد ؟ لقد أعلن الأمير سكنن رع الحرب عليهم ولم ينجح فى طردهم وسقط صريعا فى ميدان الجهاد الشرف ، فما الذى حل بالبلاد ؟! لا شىء ألبته . وقام والدى كاموس وحكم الجنوب وهيأ الشعب للجهاد ، ولكن المنية عاجلته ، وكان أحب أمانيه إليه أن يطرد هؤلاء القذرين .. وسأحقق أمنيته لو أطال آمون فى أجلى . لقد علم أهل الشمال أن فى الجنوب رجالا لا يقبلون الضيم ولا يستنيمون للذل ، وعلم المغتصبون أن الجنوب قد هب لتحطيم أغلال الرق والعبودية التى رسف فيها قرنين من الزمان .

إنى لا أرضى لشعبى الهوان .. أوَ يرضى الأمير أونش أن تكون مصر ضيعة لأولئك المغتصبين ؟ .. أو أن نكون أرقاء لأولئك السفاكين؟ ..

وهل يرضيه أن يكد الفلاح ويشقى ليملأ مخازن السادة بالحبوب والخيرات ؟ .. أوَ يرضيه أن ينعم هؤلاء السادة بأجمل القصور ويسكنوا الدور ويأكلوا أطيب الثمار ، وأبناء مصر يسكنون الأكواخ ويتبلغون التافه الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع ؟ .. لا يا بن إبانا ، إن رضى الأمير أونش بذلك فإنى لا أرضاه .

لن نستكين لهم ولن نطأطىء لهم الرءوس بعد اليوم . يجب أن نستعيد مكاننا ، وأن نحاربهم ونطهر البلاد منهم ، وأن نقاتلهم إلى أن

يموت آخر مصرى فى ميدان الجهاد .

ـ سننتصر عليهم يا مولاى ما فى ذلك شك ، وقد ركن ملوكهم إلى اللذات ودب سوس الفساد فى عرشهم فلن يلبث أن ينهار .

ـ بل سننتصر عليهم ولو كان عرشهم موطد الأركان . لقد انتصروا علينا وأخضعونا لأنهم وجدوا أمامهم ملوكا منقسمين متنازعين .. أما اليوم فأمامهم شعب متحد الكلمة متماسك البنيان . انتصروا أول مرة لأنهم جلبوا معهم خيولهم وعرباتهم وسيوفهم التى لم يكن لنا عهد بها من قبل ، أما الآن فسنحاربهم بأسلحتهم ، وسنبرهن لهم أننا أصبحنا أكفأ منهم فى استعمالها ، وأننا أشد منهم بأسا وأقوى مراسا . لا لن يهدأ لى بال يا بن إبانا حتى أطرد آخر هكسوسى من أرض الوطن .

ووصلت العربات إلى معهد أبناء مصر الحربيين ، واتجه الأمير إلى غرفة أعدت لاستراحته حيث جلس على مقعد كبير فى الصدر، ووقف الضباط بين يديه ، ووقف أحمس بن إبانا خلفه .

وقال كبير الضباط : إن تشريف مولاى لمعهدنا شرف عظيم لنا ، وإن أبناء المعهد مغتبطون لهذا العطف الكريم ، فليسمح لى مولاى أن أرفع ولاءهم وشكرهم على هذه المنة العظمى .

فقال الأمير أحمس : إنى أبنى آمالا كبارا على أبناء هذا المعهد ، وآمل أن يكونوا عند ظنى بهم .

فقال كبير الضباط : سيكونون أهلا لثقتكم يا مولاى .

والتفت الأمير أحمس إلى الضباط وقال لهم : أرجو أن تكونوا قد وفقتم فى عملكم .

فقال أحدهم : قد أعددنا يا مولاى الأسود الذين يذودون عن عرينهم .

فقال الأمير أحمس : إن بين أيديكم جنود مصر ، فإن أحسنتم تدريبهم قدتموها إلى طريق النصر ، وإن مستقبل البلاد أمانه فى أيديكم ، فأرجو أن تكونوا أهلا لحمل هذه المسئولية .

فقال كبير الضباط : إننا بذلنا يا مولاى فى تدريبهم جهودا صادقة ، نأمل أن تحوز رضا مولاى .

ثم أردف : هل يتنازل مولاى بتشريف الميدان ليشاهد بعض ما تدربهم عليه ؟ .

وسار الجميع حتى بلغوا الميدان ، وهو مكان مترامى الأطراف واسع الأرجاء يتصل بالمعهد ببابين عظمين أحدهما للدخول والآخر للخروج ؛ وفى مكان منعزل منه بناء ذو طبقتين .. السفلى للضباط المعلمين ، والعليا شرفة تطل على الميدان جميعه وتستعمل فى مراقبة المباريات .

وصعد الأمير أحمس ، يتبعه ابن إبانا وكبير الضباط .

وفتح باب الدخول الكبير ، وارتفعت أصوات الأبواق والطبول وعزفت الموسيقا ، ودخل أبناء مصر الحربيون . فكانت فرقة الموسيقا فى المقدمة ، يتبعها مشاة الصف ، ثم المشاة الخفاف فى صفين متقابلين يحمل كل منهم خنجرا ودرعا ، ثم حاملو الحراب يمسكون الحراب من أوساطها ، ثم الرماة وكل منهم يحمل جعبته خلف ظهره ، ثم فرقة الفرسان كل فارس فى عربته الحربية يقبض على زمام جواديها بيد ويمسك السوط بالأخرى .

وسار الجميع إلى أن بلغوا الشرفة فاصطفوا أمامها ، وسكتت الموسيقا وانحنى الجميع بالتحية وهتفوا للأمير ، ثم استأنفت الموسيقا العزف وسارالجميع بخطوات عسكرية منتظمة حتى بلغوا باب الخروج ، فخرجت الفرقة الموسيقية ومشاة الصف والمشاة الخفاف والرماة .. وبقيت فرقة الفرسان فى الميدان فانتظمت العربات الحربية فى صف واحد ، استعدادا للسباق .

وساد الصمت فى المكان ولم يعد يسمع سوى صهيل الخيل . ووقف الفرسان فى عرباتهم بأجسامهم الفارعة المشوقة متحفزين للانطلاق عند الإذن بالبدء .

وأشار لهم ضابطهم بقطعة من الكتان مخططة بخطوط صفر ، فأرخى كل فارس الأعنه لجواديه ، فعلا وقع حوافز الخيل وأثير الغبار ، وطفق كل يلهب جواديه بالسوط يستحثهما على الركض ، ودارت العربات في الميدان دورة وابتدأت الدورة الثانية وراح كل فارس يعمل للفوز ، وكانت العربات متقاربة حتى إذا ما أشرفت الدورةالثانية على الانتهاء برز من الصفوف ثلاث عربات كان التنافس بين فرسانها شديدا ، وفى الدورة الثالثة والأخيرة استمرت العربات الثلاث فى المقدمة .

وراح الأمير أحمس يرقب الفرسان المتنافسين باهتمام ، وقال لابن إبانا : انظر سيعقد الفوز لذلك الفارس الذى فى أقصى الشمال .

وكان ذلك الفارس ينهب الأرض بجواديه نهبا ، ولما أحس الفارس الذى بجواره أنه سيجاوزه أخذ يضرب جواديه بقسوة ، ولما تحقق أن لا فائد من مجاراته حاول أن يضيق على منافسه فمال بعربته نحوه ، ولكن

فارسنا خلص من العربة التى مالت لعرقلته بحذق ومهارة وانطلق كالسهم لا يلوى على شىء ولا يشق له غبار.

فقال الأمير أحمس : ياله من فارس !

فقال كبير الضباط : إنه أعظم فارس عندنا يا مولاى ، وإنى أتنبأ له بمستقبل بسام .

ووصل الفارس إلى نهاية السباق قبل أقرانه ، فانتظر بعربته حتى وصلوا جميعا فسار أمامهم واتجهوا إلى باب الخروج .

ثم دخل بعض الجنود الميدان يحملون أهدافا عالية نصبوها أمام شرفة الأمير ، ودخل جنود آخرون يحملون طعاما وضعوه فوق الأهداف.

والتفت كبير الضباط إلى الأمير أحمس وقال : إننا يا مولاى نضع الطعام فوق الأهداف لندرب أبناء مصر الحربيين على تسديد الرماية ، فندعهم يصطفون أمامها ويصوبون السهام نحوها ، فمن استطاع منهم أن يصيب طعامه بسهمه حق له أن يتناوله ، ومن لم يستطع لا يتناول طعامه فى ذلك اليوم .

واصطف الجنود على مسافة بعيدة من الأهداف وأخرج كل منهم سهاما من جعبته ، وكان بكل جعبة ثلاثة سهام ، ووضعت السهام فى الأقواس ثم أطلقت ، فأصاب الشاب الذى أحرز قصب السبق هدفه من أول رمية ، فأخذ الطعام وراح يتناوله بهدوء .

فقال الأمير أحمس : إنه ماهر فى الرماية أيضا .

فقال كبير الضباط : إنه بطل الرماية يا مولاى .

واستمر الجنود يصوبون سهامهم ، وتمكنوا جميعا من إحراز طعامهم

ما عدا واحدا أطلق سهمين ولم يبق معه سوى السهم الأخير، فتناوله بيد مرتجفة ووضعه فى القوس وراح يصوبه نحو هدفه وهو وجل ، ولم يجد فى نفسه الشجاعة الكافية لإطلاقه لأنه كان يعلم أنه لو طاش سهمه لبقى يومه بلا طعام .

فى أثناء ذلك تناول بطل السبق والرماية قوسه ووضع بها سهما ، وانتظر حتى هم الجندى المسكين بإطلاق سهمه فأطلق سهمه معه فأصاب الهدف وسقط الطعام ، فأسرع الجندى والتقطه بلهفة وأخذ يلتهمه .

فابتسم الأمير ، والتفت إلى كبير الضباط وقال:

ـ قد أخبرتنى أن الذى لا يستطيع أصابة هدفه يحرم طعامه .

ـ أجل يا مولاى .

ـ ها هو ذا جندى يسقط الطعام لآخر .

ـ لم يحدث ذلك قبل الآن يا مولاى .

ـ سل الجندى لم فعل ذلك .

فهبط كبير الضباط فى الدرج وقصد إلى الجندى ووقف يحادثه ، ثم عاد إلى المقصورة وقال :

ـ سألته يا مولاى فأجاب بأنه رأى أنه لا يليق أن يحرم الطعام أحد جنود مولاى فى يوم عظيم كيومنا هذا .

فقال الأمير أحمس : مرحى ! مرحى ! آتونى به عقب انتهاء العرض.

* * *

دخل أبناء مصر الحربيون يحمل بعضهم قطعا من الخشب والأدوات

والحبال ، وأخذ بعضهم يرسم فى الثلث البعيد من الميدان خطوطا على الأرض ، وأقبل بعضهم بفئوس يحفرون بها حفرا ثبتوا فيها أعمدة من الخشب ، وشرع بعضهم يربط الأعمدة بالحبال، وتألف من أعمالهم جميعا مثال حصن ذى باب .

ثم نفخ أحد الضباط المعلمين فى بوق فوقف المشاة فى ناحية والفرسان فى ناحية ، واتجه ضابط آخر إلى الفرسان وقسمهم قسمين، وضابط ثالث إلى المشاة وجعلهم فريقين ، ثم وقف جمع من الفرسان والمشاة أمام الحصن ووقف الجمع الآخر فى مقابلتهم .

والتفت كبير الضباط إلى الأمير أحمس وقال :

ــ إننا نقسم أبناء مصر الحربيين جيشين ، ونقوم بعمل مباراة حربية كل أسبوع .

فقال الأمير أحمس : وهل تشرحون لهم خطط الدفاع والهجوم قبل المباراة ؟

ــ لا يا مولاى ، فإننا نختار جنديا نسند إليه قيادة الهاجمين ، ونختار آخر نسند إليه قيادة المدافعين عن الحصن . وعلى كل منهما أن يرسم خطط الهجوم والدفاع بنفسه . وفى نهاية المباراة نرشدهم إلى الأخطاء التى ارتكبوها وكيفيه تلافيها .

فقال الأمير أحمس : هذا نظام حسن .. ومن سيقوم بقيادة الهاجمين ؟

ــ لم يعين بعد يا مولاى ، فهل يتنازل مولاى فيختار جنديا نقلده قيادتهم ؟ .

ـ أسندوا قيادتهم إلى ذلك الجندى الذى فاز فى السبق والرماية .

* * *

ووقف قائد جيش الهاجمين فى عربته ، وأشار إلى فرسانه فالتفوا حوله وأخذ يشرح لهم الخطة التى سيتبعها ، وقصد إلى المشاة فى جيوشه وانتخب منهم قائدا لهم وشرح له الدور الذى سيقوم به المشاة ، ثم عاد ووقف على رأس جيشه . واصطف الجيشان ووقف بعضهما أمام بعض ، وتأهب كل جيش للمعركة .. فراح المشاة يرقصون رقصا حربيا منظما ويلوحون بالأقواس والنشاب فى الفضاء .

وأعطيت إشارة بدء القتال فتحرك الفرسان الهاجمون واصطفوا صفين طويلين وساروا كل عربتين متقابلتان . ثم لوح قائد الهاجمين بسوطه فى الفضاء وانطلق يعدو نحو العدو وفرسانه فى أثره ، والمشاة خلف الفرسان .

ولما اقترب الفرسان من فرسان المدافعين لف قائد الهاجمين أعنه جواديه حول وسطه وأخذ يستحث الخيل على الإسراع ، وكان يتمايل بجسمه ليوجه الخيل حيث شاء . واندفع كالسهم المارق فاخترق صف فرسان المدافعين ، وتدفق فرسانه فى صفين فى الفتحة التى اخترقها كالسيل الجارف ، فانتشر الذعر فى صفوف المدافعين، وجفلت الخيل وارتفع صهيلها ، وانتشر الغبار واختلط الفرسان بمشاة المدافعين .

ولما رأى قائد المدافعين ما حل بجيشه أراد أن يقوم بهجوم مضاد ليكسر قوة الهجوم الجارف ، فأشار للفرسان القريبين منه بالهجوم على فرسان الهاجمين ، ولكن أنى لهم ذلك وقد استطاع فرسان الهاجمين ـ

وكانوا فى صفين طويلين ـ شطر جيش المدافعين شطرين ، فالتفت كل صف من الفرسان إلى الشطر المواجه له وحمل عليه فاضطر المدافعون للتقهقر ، وظهر بين الشطرين طريق ضيق أخذ يتسع كلما شدد فرسان الهاجمين ضغطهم حتى أصبح طريقا خاليه من المدافعين ، فتقدم مشاة الهاجمين نحو الحصن.

وتلفت قائد الهاجمين يبحث عن قائد المدافعين فألفاه فى الجانب الأيمن من جيشه ، فأشار إلى ستة من فرسانه فتبعوه . واخترق الصفوف حتى أصبح أمام غريمه فراح يناوشه ، وفى أثناء ذلك التف الفرسان الستة حول عربة قائد المدافعين وضيقوا عليه وخرجوا به من المعمعة إلى فضاء الميدان واتجهوا صوب الشرفة وبذا أصبح القائد أسيرا .

دب الذعر فى صفوف المدافعين لما رأوا ما حل بقائدهم ، فراح كل يدافع عن نفسه ، فتشتت شملهم وضعفت مقاومتهم وظهر عليهم القنوط .

أما فرسان الهاجمين فراحوا ينفذون الخطة التى وضعها قائدهم فالتفوا حول المدافعين وأحاطوا بهم إحاطة السوار بالمعصم ، وأصبح فى الميدان دائرتان من فرسان الهاجمين بداخلهما فرسان المدافعين ومشاتهم .

وفى هذه الأثناء بلغ مشاة الهاجمين الحصن واستولوا عليه بلا مقاومة .

فقال الأمير أحمس : خطة بديعة وقائد ماهر .

والتفت إلى كبير الضباط وقال : ما رأيك فى هذه المباراة ؟

ـ كانت مباراة ناجحة يا مولاى .

ـ لم لم تعينوا خلفا لكل قائد ، حتى إذا ما أسر أو قتل قام من يحل محله فى الحال فلا ينتشر الذعر فى صفوف المقاتلين كما حدث اليوم ؟

ـ هذا من تدبير القواد الذين ننتخبهم ، وسأوجه نظرهم إلى ذلك .

ـ ألم يحدث قبل اليوم أن أسر قائد أحد الجيشين فى أثناء مبارياتكم ؟

ـ لا يا مولاى هذه أول مرة ، ولو حدث من قبل لكنا وجهنا أنظارهم إلى ضرورة تعيين خلفاء للقواد .

ـ شاعت الطمأنينة فى نفوسنا وتملكنا السرور لما شاهدنا اليوم. وإنى أهنئك بالمجهود الجبار الذى يبذله المعهد فى إعداد هؤلاء الأشبال .

ـ هذا بعض فضل مولانا علينا .

ثم أردف : أيسمح مولاى بأن نحضر ذلك الجندى الآن ؟

ـ أجل ، وأرجو أن أقابل جميع الضباط الذين يشرفون على تدريب الجنود .

وانصرف كبير الضباط ، والتفت الأمير أحمس إلى ابن إبانا وقال : قد أظهر أبناء مصر الحربيون كفاية عظيمة اليوم ، فأبانوا عن عظم الجهود الشاقة التى بذلها الضباط فى إعدادهم .

ـ إنها جهود صادقة يا مولاى .

ودخل كبير الضباط الشرفة يتبعه سائر الضباط ، وقف الجميع بين يدى الأمير أحمس فقال لهم :

ـ لقد اغتبطنا بما شاهدنا ، وإنى أهنئكم بنجاحكم فى إعداد أبناء مصر الحربيين الإعداد الذى سيؤهلهم لخوض غمار المعارك للذود عن حرية مصر واستقلالها ، وإنى تقديرا لجهودكم قد منحت رئيسكم «نوط» الشجاعة الذهبى ، وأرجو أن تقدروا جميعا أن تكريمى لرئيسكم هو تكريم لكم .

فانحنى كبير الضباط أمام الأمير حتى كاد يقبل الأرض ، وقال بصوت متهدج : أطال آمون عمر مولاى وجعله ذخرا للبلاد ، إن تكريمكم لنا يا مولاى هو كرم منكم ، فإننا لم نقم بأكثر من الواجب المفروض على كل مصرى .

ـ أرجو أن تسيروا بهذا المعهد قدما وأن تنهضوا به .

ودعا الضباط للأمير وانصرفوا ، وقال كبيرهم :

ـ أيأذن مولاى فى أن أدخل ذلك الجندى الآن ؟

ـ أجل !

فاتجه كبير الضباط إلى حيث كان الجندى منتظرا ودعاه للمثول بين يدى الأمير .

دخل الجندى بجسمه الممشوق وقامته الفارعة وشعره الأسود الفاحم، وانحنى بجسمه المرن ثم اعتدل ووقف أمام الأمير وقفة جندى كأنه تمثال القوة والحياة ، وأخذ الأمير يتوسمه ويطيل النظر إليه ثم قال له :

ـ لقد أعجبت بالخطة البديعة التى نفذتها فى المباراة ، لذلك سأجعلك فى وظيفة بالقصر عقب إتمام تدريبك .

فقال كبير الضباط : قد انتهت مدة تدريبه اليوم يا مولاى .

فقال الأمير : حسنا ! ما اسمك أيها الفتى ؟

ـ عبدكم أحمس .

فتلاقت عينا الأمير بعينى ابن إبانا ثم ابتسم وقال :

ـ أحمس بن من ؟

ـ ابن بنب يا مولاى .

ـ كم سنك ؟

ـ تسعة عشر يا مولاى .

فالتف الأمير أحمس إلى كبير الضباط وقال :

ـ ليستعد هذا الجندى ليرحل معنا الآن .

فانسحب كبير الضباط وأحمس بن بنب وهبطا الدرج ، وكان ابن بنب يكاد يطير من شدة الفرح فقال لكبير الضباط :

ـ إننى لا أكاد أصدق أذنى .. أفى يقظة أنا أم فى المنام ؟ . لقد كانت أمنيتى أن ألتحق بخدمة مولاى .

ـ ها هى ذى أمنيتك قد تحققت يا بنى ، فأرجو أن تثبت أنك أهل لثقته .

ـ إن روحى فداء له .

ـ أسرع وجهز عربتك ، فإن مولانا يوشك أن يرحل .

فأسرع أحمس بن بنب وراح يعدو ، وفى أثناء ذلك دخل أبناء المعهد الميدان ليحيوا الأمير عند انصرافه .

فالتفت الأمير أحمس إلى ابن إبانا وقال :

ـ قد تحقق نصف نبوءة العراف وعثرنا على أحمس الثالث .. ترى

هل يتحقق النصف الآخر ونطرد المغتصبين قريبا ؟ . .

ـ سيتحقق ذلك يا مولاى .

وأقبل أحمس بن بنب فى عربة جميلة ، قابضا على أعنة جواديه مزهوا بقربه من مولاه كأنه قائد عظيم عاد من المعارك منتصرا ، فأشار الأمير نحوه بأصبعه وقال لابن إبانا « انظر ! » فابتسم ابن إبانا ، ونهض الأمير ليغادر المعهد .

وخرج الأمير من باب فى جانب الميدان وتبعه أحمس بن بنب ، ولمح زملاءه فى الميدان فلوح لهم بيده وتركهم خلفه فاغرى أفواهم من الدهشة .

٣

رسالة إلى أواريس

ترك الأمير أونش قصر الأمير أحمس واتجه صوب قصره ، وسار ساهما مفكرا .كانت الأفكار تتتابع فى مخيلته ولكنها كانت مفككة لا ارتباط بينها ، فكان يرى نفسه طورا فى صفوف الهكسوس أعداء الوطن يحارب أحمس ويقاتله وينتصر عليه ويتولى ملك الجنوب ، وطورا يرى نفسه يحارب فى صفوف المصريين ويشترك فى طرد المغتصبين من أرض الوطن ، ثم لايلبث أن يرى عودة الجيش المظفر وتمجيد الشعب لأحمس لا له والتفافه حول عرشه ، فيعاوده الغضب ويجرى الدم حارا فى جسمه ، ويأخذ صدره فى الارتفاع والانخفاض .

واستمرت الأفكار السود تلاحقه حتى شعر بإعياء وعجز عن متابعة التفكير المنتظم ، وكان قد وصل إلى قصره فدخل حجرته وحاول أن يستريح ولكنه وقع فريسة لأفكاره ، فراح يذر الحجرة ذهوبا وجيئة ، وشعر كأن جوها أصبح خانقا فتركها وخرج إلى الحديقة ، وهناك قابل أحد الخدم فسأله :

ـ هل وصل زازا مانخ ؟

ـ لم يصل بعد يامولاى .

ـ قل له عند حضوره أن يوافينى من فوره .

وسار الأمير أونش فى الحديقة بخطا مضطربة وكان القلق والاضطراب باديين على وجهه . وبلغ البحيرة التى كانت فى منتصف الحديقة فجلس على حافتها ، ثم أخذ يفكر فى موقفه من أحمس فقال يخاطب نفسه :

ـ إنك أحق من أحمس بملك مصر ..قد كان آباؤك ملوكا على مصر قبل أن يغتصب آباؤه الحكم فى الجنوب ..لم تخضع له ؟ . ولم يتمتع هو بهذا الملك العريض والصيت البعيد وتقبع أنت بين جدران قصرك ، بل سجنك ؟

لا .. لن تخضع له بعد اليوم . ثر فى وجهه وساعد أعداءه واضرب ضربتك ولاتتردد .. أمامك ملك الجنوب ..عرضه عليك ملك الهكسوس لوأزلت أحمس من طريقه . لم لا تفعل ؟ مد إليه يدا يمد إليك ألف يد ، إن مصلحتك هى مصلحته ، وقضيتكما مشتركة ، فتعاونا على الخلاص منه .. يجب أن تسود ، فلم هذا التردد ؟

إنك تطالب بحق شرعى لك ، فملك مصر يجب أن يكون من نصيبك ، وملوك مصر يجب أن يكونوا من أبنائك ، لا تتردد فتجنى عليهم ويصبحوا أتباعا لأبناء أحمس ..

ثم استيقظ ضميره فقال فى نفسه : لا ، لأن يكونوا أتباعا لأحمس وذريته أفضل من أن يكونوا أتباعا للهكسوس .

ثم عاوده صوت الغضب والحقد فقال : لا ، إنى أفضل أن يأكلهم

التمساح على أن يكونوا أتباعا لأحمس . ماالذى سيفعله الهكسوس بهم ؟ .. سيتركونهم يحكمون الجنوب ويسودون ..

وهب الأمير أونش واقفا وقال :

ـ لقد عقدت العزم على أن أكافحه ، وسأسير فى طريقى وأزيل من الوجود كله من يقف فى وجهى .

وحضر زازا مانخ فأخبره الخدم أن الأمير فى انتظاره فأسرع الخطا ، ولمح الأمير أونش يسير فى الحديقة مطأطىء الرأس فاتجه إليه وحياه فقال الأمير :

ـ جئت فى وقتك أيها الأمين الطيب ، فإنى فى أشد الحاجة إليك.

ـ مالى أرى الأمير مشغول البال ؟

ـ إن ثقتى بك يا زازا مانخ عظيمة ، وإن الذى سأفضى به إليك جد خطير فأرجو منك العون .

ـ إنى وماملكت يداى فداء مولاى .

ـ عدت الآن من قصر الأمير أحمس ، وقد علمت أن الأمير استعان بالنجاشى وطلب منه أن يمده بجنود من عنده لطرد الهكسوس ، فوعده النجاشى خيرا .

ـ وما الذى يحزن الأمير من ذلك ؟

ـ تعلم يازازا مانخ أنى أحق من الأمير أحمس بحكم مصر ، لأن أجدادى كانوا فراعين قبل أن يغتصب أجداده السلطة فى الجنوب .

ـ أعلم ذلك ، ولكن أجداده لم يغتصبوا الملك من آبائك ، بل اغتصب الهكسوس ملك آبائك فجاء آباؤه واغتصبوا ملك الجنوب منهم

وخلصوه من براثنهم ، فانتقموا لكم .

ـ مهما يكن الأمر فهذا الملك ملكى ، وينبغى أن يعود إلى .

ـ لن تستطيع يامولاى أن تناوىء الهكسوس وحدك .

ـ لن أناوئهم يازازا مانخ . لما زرت الشمال فى العام الفائت وقابلت ملك الهكسوس ، عرض على ملك الجنوب إذا ساعدته فى التخلص من الأمير أحمس .

ـ وقد رفضت تقديم العون له ولاشك .

ـ لا لم أرفض .

ـ أتضع يدك فى يد أعداء البلاد ؟ . .الذين اغتصبوا ملك آبائك؟

ـ إنهم حكام البلاد يا زازامانخ وقد تمصروا وأصبحوا مصريين بحكم طول المدة التى عاشوها بمصر . ها هى ذى معابدهم تحاكى معابدنا ان لم تكن تفوقها . . وعاداتهم أصبحت كعاداتنا .

ـ مهما يكن يامولاى فهم أعداء للوطن . . إنهم مغتصبون . . قتلة يتموا الأطفال وسبوا النساء وقيدوا الحريات .

ـ ولكنهم سيساعدوننا على إعادة عرشنا إلينا .

ـ إن ذلك يتنافى مع الشرف يا مولاى ، أتقتل أمة لتحيى فردا ؟

ـ أي شرف ؟ أكان عمل أنتف يتفق مع الشرف يوم عينه ملوك أهناس حاكما على باب القطر الجنوبى ، فلما آنس منهم ضعفا شق عصا الطاعة عليهم واستقل بمصر من الشلال الأول إلى طيبة؟ لقد اعتبره الشعب إلها يا زازا مانخ ، ونصبوا تمثاله فى معبد طيبة وعبدوه .

ـ للشعب كل الحق فى تمجيده يامولاى ، فقد كان ملوك أهناس

ضعافا لايرعون حقوق رعيتهم ، فاغتصب أنتف الملك منهم ليصلح حال الشعب . أما أنت ياMولاى فتريد أن تحارب المصريين لتثبت أقدام المغتصبين ، ارضاء لشهوة الحكم فى نفسك .

ـ ما الذى يخسره الجنوب لو أصبحت أنا حاكما عليه بدل الأمير أحمس ؟

ـ سيخسر حريته واستقلاله لأنك ستكون تابعا للشمال ، وستجبى الضرائب وترهق الشعب لترضى أصحاب الفضل عليك .

ـ إنهم يحكمون والشمال هادىء مستقر ، فلو استطعنا إخضاع الجنوب لشمل الهدوء القطر .

ـ هدوء القبور يا مولاى . ليس الشمال بهادىء ولابمستقر ، بل الشمال مسلوب الحرية مضغوط على أنفاسه حتى إنه لايستطيع أن يجأر بالشكوى والأنين . سترى ثورة الشمال يامولاى عند ماتحل قيودهم ، سيكون انتقامهم قاسيا رهيبا .

ـ كأنك من أعوان أحمس لا من أعوانى ، وكأنه ولى نعمتك وسبب سعادتك .

ـ إنى مصرى يا مولاى قبل كل شىء ، وكل مصرى يتمنى ذلك اليوم الذى يزاح فيه كابوس الاستعباد عن صدره . نريد أن نتنسم نسيم الحرية ، نريد أن نحطم سلاسل الرق والعبودية .

ـ أتكفر نعمتى وترفض إطاعتى ؟

ـ إنى لا أكفر نعمتك ، ولو طلبت روحى لجدت لك بها ، ولكنك تطلب ماهو أغلى من روحى ... تطلب منى أن أبيع أهلى وعشيرتى ،

وأن أساعدك على وضع قيود الاستعباد فى أيديهم إلى الأبد .. لا ، لن أساعدك على استرقاقهم وإذلالهم . أتورث الشعب ذلا طويلا فى سبيل جاه زائل ؟ ثب إلى رشدك يامولاى ومد يدك إلى الأمير أحمس ، وساعده على طردهم تسعد شعبك وتنقذه من الهوان . أليس أفضل أن تكون منقذ الشعب من أن تكون جلاده ؟

وتمتم الأمير أونش وقال :

ـ سيكون الأمير أحمس المنقذ والبطل ، وسيمجد هو أما نحن فنترك فى زوايا النسيان .

ـ إن فى تمجيد الأمير أحمس تمجيدا لرعاياه .

ـ أأكون من رعايا الأميرأحمس ؟ ! . لا . لن أكون ذلك .

ـ خير لك أن تكون من رعايا الأمير أحمس من أن تكون عبدا للهكسوس .

ـ كيف تجرؤ على مثل هذا القول ؟ لقد تجاوزت حدودك يازازا مانخ .

ـ بل لقد تجاوزت أنت كل حد ، فتنكبت طريق الهدى وسرت فى طريق الضلال وأغضبت الآلهة ، فاحذر أن تصيبك لعنتها .

ـ إذن ترفض أن تضع يدك فى يدى ؟

ـ لن تتلوث يداى بآثامك ، ولن يتلطخ جبينى بعارك ، فوداعا إلى الأبد ! سأذكر كل ذلك للأمير أحمس .

وأدار ظهره لينصرف ، فعض أونش على شفتيه من الغيظ وغمغم:

« بل لن يمتد بك الأجل لتفعل ذلك » .

واستل خنجره وطعنه طعنة قاتلة من خلف فسقط يخبط فى دمه .

ورفع زازامانخ بصره إلى الأمير أونش وقال : قتلتنى أيها اللعين .. عليك لعنة الآلهة أينما حللت .. إنى ذاهب إلى محكمة الإله أوزوريس بنفس مطمئنة لأنى لم أسرق ولم أتكبر ولم أوذ الناس سرا .

وحينما أقف بين تمثالى العدالة لأخاطب الإله أوزرريس سأرفع إليه ظلامتى منك ، وسأطلب من القضاة الذين تتألف منهم محكمة الإلة أن يصبوا جام غضبهم عليك ... إنى مطمئن النفس لأنى أعلم أن الكفة التى سيوضع بها قلبى سترجح على الكفة التى بها العدالة ، أما أنت فسترى العذاب الأليم ، وسيكتب تحوت فى لوحه حكم المحكمة القاضى بإدانتك . إن موازينك ستخف لكثرة شرورك وآثامك ، وستلقى روحك فى الجحيم .. ياقاتل يا.. خائن.

والتفت الأمير أونش إلى جثة زازامانخ صريعا تحت قدميه ، زازامانخ الذى كان يلقبه بالأمين الطيب ، وحملق فى وجهه غاضبا وقال بصوت جاف :

ـ سيكون هذا مصير كل من يقف فى وجهى .

ومر أحد الخدم فى تلك اللحظة ولمح سيده ينحنى على جثة صديق الأمس وعدو اليوم فارتجف من هول ما رأى . ولمحه الأمير فأشار إليه . ناد الخدم .

فانحنى الخادم أمام مولاه وهو يكاد يسقط من الضعف والاعياء ، ثم تمالك نفسه قليلا وراح ينفذ ما أمر به سيده .

وبعد قليل حضر خدم القصر ووقفوا أمام الأمير أونش ، ولم يجرؤ

أحد منهم أن ينظر إلى جثة زازامانخ المضرجة بالدماء ، بل كانوا يختلسون النظر إليها .

قال الأمير :

ــ لقد رفض هذا الكلب أن يطيع أوامرى وحاول أن ينال منى فكان هذا مصيره وسيكون هذا مصير كل من يعصى لى أمرا .

وأدار ظهره وقال وهو يغادر المكان :

ــ ألقوا بهذه الجثة خارجا .

ثم دخل غرفته وأخرج ورقة من أوراق البردى ، وتناول قلما من الغاب وغمسه فى المحبرة وراح يكتب :

مولاى سيد البلاد وملك الوجهين البحرى والقبلى ، أدام الإله العظيم سوتنخ ملككم وحفظكم من أعدائكم ، وبعد فتعلمون يامولاى أن الأمير أحمس يجمع الأعوان حوله ويعد العدة لمحاربتكم وطردكم من البلاد كما يقول ، ولم يكتف يامولاى بإثارة غضب المصريين عليكم بل طلب من النجاشى العون فوعده بإرسال رجال وعتاد ، وقد ظهر يا مولاى أنه ما تزوج من ابنة النجاشى إلا لهذا الغرض ، إن جنود الأحباش يا مولاى فى طريقهم إلى طيبة فلابد من عمل حاسم سريع . لابد أن تخمد الثورة قبل اندلاع لهيبها ، وأن تقتل الفتنة فى مهدها ، وأن تقلم أظافر الوحش قبل أن ينشبها .

لم يتعظ ذلك الغر بما حدث لسكنن رع يوم هيأ له غروره أن يثور فى وجه فرعون العظيم ولم يتخذ من مقتله عبرة له فقام يسوق الجنوب إلى حتفه ، ولكنى يا مولاى قد عقدت العزم على أن أخلص الجنوب

منه ، وسأعمل على قتله قبل أن تصل رسالتى هذه إليكم .

إن الأمير أحمس يبث عيونه حولكم ويرسلهم إلى أواريس بين الفينة والفينة فيعودون إليه بتقارير وافية عنكم ، فهو يعلم كل شىء فى مملكتكم وينتهز الفرص ليفاجئكم .

ولقد أرسل إلى أواريس اثنين من أخلص أعوانه ليدرسا تحصيناتها ، حتى إذا ما آنسا ضعفا فى ناحية غزوكم منها ، وقد ساقهما سوء طالعهما إلى معبد الإله سوتنخ فسخر أحدهما منه فقبضتم عليه ، أما الآخر فقد فر إلى طيبة وأخبر مولاه بما رأى .

إن الذى بين جدران سجنكم يا مولاى هو ديدى أخلص أعوان الأمير أحمس ، فنكلوا به وتخلصوا منه ليكون عبرة لكل من يجرؤ على التجسس عليكم .

وحالما أتخلص من الأمير أحمس سأشتت شمل أعوانه ، فتسود الطمأنينة ويرفرف الهدوء بجناحيه على الجنوب ، فلا تسمع يامولاى صوت ثائر ولاثرثرة وقح ، وسترسل الضرائب إلى خزائن مولاى فى مواعيدها ، وسيسود الإخاء ويتبادل الحب بين المصريين والهكسوس العظام .

وختاما تقبلو يا مولاى ولاء خادمكم .

أونش

ولف الأمير أونش الرسالة بعد أن استعاد قراءتها ، ونادى أحد أعوانه وقال له :

ـ جهز نفسك للسفر حالا إلى أواريس .

ـ إنى على أهبة السفر يامولاى .

ـ حسنا خذ هذه الرسالة ولاتسلمها إلا لفرعون نفسه .

وناول الأمير أونش الرسالة لأمينه وقال له :

ـ إياك أن تفرط فى الرسالة أو تتهاون فى حفظها ، فحياتك رهن بتسليمها .

ـ أفهم ذلك يامولاى .

وجلس الأمير أونش يفكر فى مملكته وراح يبنى قصورا فى الهواء. فتخيل نفسه جالسا على العرش وفوق رأسه تاج الوجه القبلى فانبسطت أسارير وجهه ، ولم تلبث تلك الصورة المرتسمة فى مخيلته أن انمحت وحل محلها صورة الأمير أحمس جالسا على العرش وفوق رأسه تاج الوجهين البحرى والقبلى ، فانقبضت أسارير وجهه وبان عليه الضيق والتبرم وحاول أن يطرد تلك الصورة التى احتلت مخيلته ولكن دون جدوى ، فهب من على كرسيه وراح يهذى :

ـ لا ، إن هذه الحياة لاتطاق ... إلى متى أعيش فى هذا الجحيم؟ لن يهنأ لى عيش حتى أزيله من طريقى ..

وأطرق يفكر هنيهة ، ثم نادى الخادم وقال له :

ـ ناد يوفرا حالا .

وراح الأمير أونش يذرع الغرفة كوحش ثائر وكان يهدر كالموج الهائج . ودخل يوفرا وهو عبد أسود من أهالى جنوب الشلال كان الأمير قد اشتراه صغيرا وترعرع بين جدران قصره ، لايعرف أحدا فى طيبة

ولايعرفه سوى الذين يعملون بالقصر ، وكان كل أمنيته أن يغادر القصر ليرى طيبة التى سمع بمباهجها من أقرانه والتى يحفظ أسماء أحيائها دون أن يراها ، فقال الأمير :

ـ سأطلق سراحك يا يوفرا ، وسأمنحك ضيعة من ضياعى وسيكون لك خدم وحشم وستكون لك عربات مطهمات وستكون فى ضيعتك الآمر الناهى يأتمر الجميع بأمرك ويخضعون لك .

ونظر الأمير أونش إلى يوفرا ليرى أثر كلامه فى نفسه ، فألفاه فاغرا فاه لايكاد يصدق أذنيه فقال له :

ـ ما رأيك فى هذا يا يوفرا ؟

فأرتج على العبد ولم يستطع الكلام ، بل خر ساجدا لمولاه ، فابتسم الأمير وقال :

ـ سأمنحك كل ذلك وأكثر منه إن استطعت أن تؤدى لى خدمة واحدة .

ـ إنى عبد مولاى ، وسأنفذ كل ما يأمرنى به .

ـ أتجيد الرماية يايوفرا ؟

ـ مولاى يعرف ذلك .

ـ أتعرف الأمير أحمس ؟

ـ رأيته أكثر من مرة وهو يغادر قصر مولاى .

ـ أتعرف الباب الشرقى من المدينة ؟

ـ لا يا مولاى ، فإنى لم أغادر القصر قط .

فتناول الأمير أونش ورقة ، وراح يخطط عليها موقع الباب

الشرقى.

قال العبد : يمكننى الآن أن أذهب إليه .

ـ حسنا ! سيمر الأمير أحمس من ذلك الباب عند عودته من معهد أبناء مصر الحربيين ، فانتظره فى هذه النقطة ، وعندما تلمحه صوب إليه السهم الذى سأعطيك إياه . أمستعد أنت للقيام بهذه المهمة ؟ .

ـ إنى على استعداد للقيام بأى عمل يرضى مولاى .

ـ سأجهزك بعربة يقودها أسرع جوادين عندى ، وعقب قتلك الأمير أحمس انطلق إلى ضيعتى فى الجنوب ، وإياك أن تعود إلى هنا مهما كانت الأحوال .

ثم قام الأمير أونش واتجه إلى صندوق مطعم بالخرز والزجاج ففتحه، وأخرج منه سهما مسموما ناوله يوفرا وقال :

ـ خذ هذا السهم وصوبه جيدا ، وإياك أن تخطىء ففى ذلك قضاء على حياتك وحياتى .

ـ ثق يامولاى أن هذا السهم سيستقر فى قلب الأمير أحمس .

وقال الأمير أونش يخاطب نفسه : سيسرى السم فى جسمه ولن يستطيع أن يقاومه .

وشعر كأن حملا ثقيلا قد رفع عن صدره ، فنادى الخادم وأمره أن يجهز عربة حسنة بها جودان من أسرع جياده .

وفتح باب القصر الداخلى وخرج منه السيد يوفرا يتهادى فى مشيته ، فنزل فى الدرج بعظمة وخيلاء وركب العربة ، ثم تحسس موضع القوس فألفاه فى مكانه . وسارت به العربة الهوينى ، وكان الجوادان

يتبختران والعبد يتلفت حوله ، فإذا لمح خادما شمخ بأنفه وتطلع إلى السماء حتى بلغ باب القصر الخارجى ، فخرج منه مشيعا بنظرات الاستغراب من الجميع .

اخترق يوفرا شوارع طيبة المأهولة فلفت لونه الأسود الأنظار إليه وكثرت أقاويل الناس عنه ، فمن قائل إنه أمير من أمراء جنوب الشلال، ومن قائل إنه رسول من قبل النجاشى جاء يحمل الهدايا للأمير ، ولم يدر بخلد أحد أنه من سكان طيبة وأنه أمضى مايقرب من عشرين سنة بين جدران قصر من أشهر قصورها .

اقترب يوفرا من باب المدينة الشرقى فوجد المكان المقفر الذى أخبره به مولاه فأدار عينيه فيه وأخذ يتوسمه ، فوجد هدوءا شاملا وسكونا مخيما فقال فى نفسه :

ـ هذا أصلح مكان لتنفيذ رغبة مولاى .

وتوغل بعربته فى ذلك الفضاء الفسيح حتى أضحى على مسافة من الطريق وقال :

ـ من هنا أستطيع أن أسدد سهمى وأصيب غرضى ، ثم أطلق العنان لجوادى .

وأعد يوفرا قوسه ، ووقف مستعدا ليتصيد فريسته .

وأقبل موكب الأمير أحمس ودخل من باب المدينة. وسدد يوفرا سهما وأطلق .. فمر بين رأسى الأمير أحمس وابن ابانا واستقر فى شجرة على جانب الطريق .

فخطف ابن بنب القوس التى فى عربته ووضع فيها سهما ، وفى أقل

من لمح البصر صوبه إلى العبد الأسود فاستقر فى صدره .

وأجفل الجوادان فانطلقا يعدوان ، وظن ابن بنب أن العبد يحاول الفرار فلوى عنان جواديه وانطلق خلفه .واستمرت العربتان تعدوان الواحدة فى إثرالأخرى . ولمح ابن بنب العبد يخرج السهم من صدره وينكفء على مقدم العربة فتناول رمحه ولما أصبح على قيد خطوات منه سدده نحوه ورماه فأصابه فى ظهره : فتدحرج من العربة على الأرض . فأوقف ابن بنب عربته ونزل منها ، وانحنى على العبد وأخذ يقلبه فألفاه جثة هامدة .

وأقبل الأمير وابن إبانا والضباط والتفوا بعرباتهم حول جثة العبد ، وقال الأمير لابن ابانا :

ـ هل رأيت هذا العبد قبل الآن يابن إبانا ؟

ـ لا يا مولاى .

فتمتم الأمير : ترى لمن يعمل ؟

ـ لا أدرى يا مولاى ، الذى أعلمه أن جميع المصريين يكنون لكم كل حب وتقدير .

ـ ابتدأت الفتنة يا بن إبانا فلا بد من الحذر .

ثم عض الأمير على نواجذه وقال : لو عرفت ذلك الجبان الذى يتوارى خلف هذا العبد ..

ثم التفت إلى ابن بنب وقال :

ـ لقد أنقذت حياتى يابن بنب .

ـ لم أقم إلا بالواجب يا مولاى ، وأرجو أن يوفقنى آمون

خدمتكم.

ثم استأنف الركب المسير ، والتفت الأمير إلى ابن إبانا وقال :

ـ إنى مستبشر بهذا الشاب خيرا .

ـ سيكون له شأن يا مولاى .

ـ صدق العراف فى نبوءته ، فقد عثرنا بأحمس الثالث .

ـ إنه كفء يامولاى ما فى ذلك شك .

فابتسم الأمير وقال : بل هو أكفأ أحمس فينا ، وسأوليه قيادة فرسانى مكافأة له .

وبلغ الموكب القصر ودخل الجميع بهو الاجتماع .

وأخذ ابن بنب بعظمة المكان ، فكان يتفرس فى النقوش الجميلة التى تزين الجدران ، ويتطلع إلى الأعمدة الضخمة التى صنعت على هيئة سيقان اللوتس ، ويتأمل باب البهو الضخم ، ويعجب بتلك النقوش الكثيرة الدقيقة التى لا يكاد يظهر منها خشبه .

ونادى الأمير خادمه إيب وطلب منه أن يعد غرفة بالقصر لابن بنب .وخرج إيب وابن بنب إلى الردهة الخارجية وسارا حتى بلغا جناحا منعزلا أعد لسكنى أمناء القصر ، ودخلا غرفة جميلة وقال إيب :

ـ ها هى ذى غرفتك يابنى .

وخرج إيب وبقى ابن بنب فى الغرفة وحيدا ، فأخذ ينظر حوله فرأى آثار العز والنعمة ، فغمره السرور وشعر بنشوة كبيرة وترقرق الدمع فى عينيه من الفرح

٤

تعارف

تنفس الصبح وابتدأ الإله رع إله الشمس يعبر السماء في مركبه من الشرق إلى الغرب ، حاملا قرص الشمس التى كانت ترسل خيوطها الذهبية لتنير الكون .

وتسللت الخيوط إلى غرفة ابن بنب ففتح عينيه وتقلب فى فراشه ، ثم نهض وخرج إلى الحديقة فلفحه نسيم الربيع فأنعش قلبه، فراح يملأ صدره منه .. وأخذ يجول إلى أن بلغ بحيرة القصر فألفى الكون نائما هادئا ، فالبط مستقر على سطح الماء ، والطيور ساكنة على الأدواح .

وراح النسيم يمرح فى الحديقة ويداعب الأغصان برفق ، ويقبل خدود الورد ، ويشاغب الماء فيعبس ويظهر على وجهه تلك التجعدات الخفاف.

ولمح ابن بنب السيد إيب خارجا من القصر فأسرع إليه وحياه .

ـ صباح الخير يا سيد إيب .

ـ صباح الخير يا بنى ، لقد تركت فراشك مبكرا .

ـ رغبت أن أمتع الطرف بجمال الطبيعة ! لقد ارتدت الحديقة أزهى

حللها فكأنها عروس فى يوم زفافها .

ـ إنه الربيع يا بنى .

ـ هل نمضى اليوم جميعه فى القصر ؟

ـ أجل يا بنى فسيحضر اليوم الأمير أونش .. أظنك لم تره ؟.

ـ لا ، ولكن حدثنى عنه ابن إبانا .

ـ وسيحضر باك ان آمون والأميرة سشن .

ـ الأميرة سشن ؟ .

ـ نعم ، ابنه المرحوم سكنن رع ، وهى فى السابعة عشرة من عمرها.

ودبت الحياة فى الحديقة ، فسطعت الشمس وفارقت الطيور أوكارها، وارتفعت زقزقة العصافير، وخرج البط من البحيرة يجفف ريشه ، وانتشر البستانيون وأخذ بعضهم يشذب الأشجار وينسق الأزهار .

والتفت إيب إلى ابن بنب وقال :

ـ سأدخل الآن فقد يطلبنى مولاى ... هل تحب أن تنتظر فى البهو؟ .

ـ لا . بل سأبقى هنا فى المنظرة فالجو لطيف .

وجلس ابن بنب يرقب البستانيين الذين يعملون فى الحديقة ، وبعد قليل أقبلت عربة بديعة يجرها جوادان مزينان بأبدع زينة ، يدل مظهر قائدها على الغنى والجاه فأتبعه ابن بنب بصره حتى بلغ درج القصر ، فرأى خادمين يسرعان فيمسكان بالجوادين ، ثم هبط الفارس وصعد فى الدرج بعظمة وخيلاء ، فقال ابن بنب فى نفسه : إنه الأمير أونش ولا

شك .

وبعد هنيهة دخلت الحديقة عربة فتاة ذات شعر أسود مجدول فى ضفيرتين طويلتين مسترسلتين على صدرها ، تلبس ثوبا ضيقا من الكتان الأبيض لا أكمام له يكسو جسمها من الثديين إلى القدمين . مثبتا فوق كتفها بشريط من الكتان ، وتلبس فوق هذا الثوب قميصا آخر به خيوط من الحرير ، وتحلى جيدها بقلادة ذهبية مرصعة بالجواهر الكريمة ، وتحلى رأسها بأوراق اللوتس ، وتمسك فى يدها زهرة .

ولمحها ابن بنب وأخذ يرقبها باهتمام إلى أن غابت في القصر .

ونهض ابن بنب وسار إلى القصر بخطا متثاقلة ودخل بهو الاجتماع، فوجد الأمير أونش والأميرة سشن جالسين وإيب واقف أمامهما يحادثهما ، فاقترب منهم وحياهم ، ثم ابتعد قليلا وأخذ يختلس النظرات إلى الأميرة .

وأقبل ابن إبانا وحيا الأميرة ، ولمح ابن بنب فاتجه نحوه وجلس يتحدث معه . ووصل باك ان آمون فانضم إليهما وراح الثلاثة يتجاذبون أطراف الحديث .

وفتح البهو الداخلى فانحنى الجميع بالتحية ، ودخل الأمير أحمس وزوجه فاتجها إلى مقعدين بصدر البهو ، وجلس الأمير أونش عن يمين الأمير أحمس والأميرة سشن عن يسار الأميرة الحبشية ، وابن بنب وابن إبانا وباك ان آمون عن يمين الأمير أونش ، وسأل الأمير أحمس باك ان آمون : أثمة أخبار عن ديدى ؟

ــ لا يا مولاى .

ـ ألم يرسل هورداديف رسولا من عنده ؟

ـ إنى أنتظر وصول الرسول بين ساعة وأخرى .

ـ أخشى أن يعذب أولئك القذرون ديدى .

فقال ابن إبانا : سنفك أسره يوم ندخل أواريس .

ـ أيستمر ديدى أسيرا إلى أن ندخل أورايس ؟! لا ، يجب أن نعمل على تخليصه قبل ذلك .

فقال ابن بنب بصوت خافت :

ـ أيأذن لى مولاى بالسفر إلى أواريس لأحاول تخليص ديدى؟ .

فالتفت إليه الأمير أونش بازدراء ، ولحظ ذلك الأمير أحمس فقال :

ـ لو لم أكن فى أشد الحاجة إليك هنا لسمحت لك بالسفر حالا.

فزاد امتعاض الأمير أونش ، وأردف أحمس :

ـ حاول عبد أسود أن يقتلنى بسهمه أول من أمس ، ولكن ابن بنب عاجلة بسهمه فأرداه . فلولا ابن بنب لكنتم الآن فى المعبد تصلون على جثمانى بدل أن تكونوا هنا تتسامرون معى .

فحاول الأمير أونش أن يخفى اضطرابه فقال :

ـ حفظ آمون حياة مولاى وأدامه ذخرا للبلاد .

وهم ابن بنب أن يتكلم ، ولكن وقع نظره على الأميرة سشن فوجدها تنظر إليه ، فصمت .

وقال الأمير أحمس : ما كان ابن بنب ليخفق فى فك أسر ديدى.

فقال باك ان آمون : إنى على يقين من أن هورداديف سيفك أسره يا مولاى .

فقال الأمير أحمس : أرجو أن يتم ذلك قريبا .

واستفسر الأمير أونش : ما الذى تم مع النجاشى يا مولاى ؟

ـ إن جيوش الحبشة فى طريقهم إلى طيبة .

فقالت الأميرة الحبشية بافتخار : سترون جنودا شدادا ، مهرة فى تصويب السهام ذوى بأس شديد .

وقال الأمير أحمس : وسيذوق الهكسوس مرارة الهزيمة على أيدى أبناء مصر الحربيين .

وقال ابن إبانا : وإن أسطولنا لعلى أتم استعداد لنقل الجنود إلى ميادين القتال ، وسيقوم بدوره فى تحقيق النصر الأخير .

وقال باك ان آمون : وسينضم إلينا سكان الشمال فيشدون أزرنا ، ويساعدوننا على سحقهم .

قالت الأميرة سشن : كل ما أرجوه أن ينتقم آمون من هؤلاء السفاكين.. قتلة أبى .

فقال ابن إبانا : لينم الأمير سكنن رع مطمئنا ولتهنأ روحه فى سمائها ، فقد مات فى سبيل تحرير بلاده وسقط صريعا فى ميدان الجهاد والشرف .

وأضاف الأمير أحمس : إن روح الأمير سكنن رع تشرف من عليائها على اجتماعنا هذا ، وتطالبنا بالقصاص من قاتليه .

قالت الأميرة الحبشية للأمير أحمس : يبدو عليك التعب .

فقال الأمير أحمس : إنى أعد العدة لاستقبال جنود النجاشى.

فقال الأمير أونش : من الأفضل يا مولاى أن ترتاض ، فهل نخرج

لصيد فرس البحر ؟

فقال الأميرأحمس لابن بنب : هل سبق أن اشتركت فى صيد فرس البحر ؟

ـ لا يا مولاى .

ـ إذن نخرج غدا للصيد ، وتخرج معنا .

ـ أشكر لمولاى عطفه على واهتمامه بأمرى .

واستمر الحديث بينهم ، فكانت الأميرة الحبشية تتحدث عن الحبشة، وباك ان آمون يتحدث عن أهل الشمال ، أما ابن إبانا فكان يتحدث عن الأسطول وكيف أنشأه سحورع من نحو ألف سنة، وكيف أرسله إلى بلاد بنت « الصومال » لجلب الأخشاب الثمينة والصمغ والبخور للمعابد .

ودخل إيب وقال إن الغداء قد أعد ، فقام الجميع إلى غرفة الأكل وكان بها خوان مرتفع حوله كراسى من الآبنوس مطعمة بالعاج والذهب ، وكانت قواعد الكراسى من نسيج سعف النخل وفوقها وسائد من الجلد ، وعلى الخوان كئوس بها خمر وصحاف من الفضة بها بط وطيور وأسماك ولحم وفواكه ، وفى ركن من الغرفة منضدة على هيئة صندوق أخرج منها أحد الخدم أدوات غسل الأيدى ، فغسلوا أيديهم وجلسوا وأخذوا يتسامرون إلى قبيل العصر .

وانصرف الأمير أونش ثم الأميرة سشن ، وخرج أحمس بن إبانا وباك ان آمون وأحمس بن بنب إلى الحديقة ، وقال ابن بنب لابن إبانا :

ـ أتعرف الأميرة سشن من زمن بعيد ؟

ـ أجل ، فقد كان أبى ضابطا بحريا فى عهد والدها ، وقد ذهبت برفقته إلى قصرهم مرارا .

ـ وكيف التحقت بالجيش ؟

ـ كان أبى يعمل فى سفينة القربان ، ولما توفى حللت مكانه .

وقال باك ان آمون : هل لاحظتما أن الأميرة سشن لم تتحادث مع الأمير أونش طول الوقت ؟

فقال ابن إبانا : السبب فى ذلك أنه لما أعلن مولاى سكنن رع الحرب على الهكسوس ، طلب من الأمير أونش أن يمده بالرجال وأن يشترك معه فى الحرب ، ولكن الأمير أونش رفض ذلك ، وقيل إنه لو اشترك فى الحرب لما انتهت تلك النهاية المفجعة . كانت الأميرة سشن وقتذاك طفلة ولم تكن تميز عمل الأمير أونش ، ولكنها لما شبت تعلمت أن تكرهه .

فقال باك ان آمون : ومع هذا فقد سمعت أن الأمير أونش يفكر فى الزواج منها .

فقال ابن إبانا : لن توافق الأميرة على ذلك .

* * *

وفى صباح اليوم التالى اتجه الأمير أحمس وزوجه والأميرة سشن والأمير أونش وابن إبانا وابن بنب وباك ان آمون إلى النيل ، وركب الأمير أحمس وزوجته والأمير أونش والأميرة سشن فى مركب ، وركب ابن إبانا وابن بنب وباك ان آمون فى مركب ثان ، وركب بعض الخدم فى مركب ثالث .

وكان بكل مركب مجدافان كبيران عند مؤخره وعدة مجاديف صغيرة على جانبيه . وابتدأ التجديف وراحت المراكب الثلاثة تشق طريقها فى النيل .

ووقف الأمير أحمس فى وسط المركب وأمسك بخطاف ذى طرفين مدببين يتصل بحبل طويل من الكتان ، وأمسك الأمير أونش بخطاف ثان ، وجلست الأميرة الحبشية والأميرة سشن فى المركب يرقبانهما .

ووقف ابن إبانا فى المركب الثانى يشرح لابن بنب طريقة صيد فرس البحر :

ـ إذا اقتربت من فرس البحر فصوب إليه هذا الخطاف فيغوص فى لحمه ويبتدىء دمه فى النزيف ، ولا تجذب الحبل إلا بعد أن تهن قوته .

وسارت المراكب ، وكان الجو صحوا والنسيم عليلا .. ولمح الأمير أحمس بعض أفراس البحر فأمر الخدم أن يسرعوا بالتجديف، فشق مركبه عباب الماء وتبعه المركبان الآخران . وتقدم الأمير أحمس والأمير أونش إلى مقدمة المركب ، وصوب الأمير أحمس خطافه إلى فرس ضخم فغاص فى ظهره ، وتبعه الأمير أونش وسدد خطافه إلى الفرس نفسه ، فتدفقت الدماء منه وراح يضرب الماء فى ثورة وغضب ، ثم ظهر عليه الضعف وخمدت حركته ، فجذب الأميران حبليهما .

وكانت الأميرة سشن ترقب ما يحدث أمامها بشغف ، وتلفتت حولها فلمحت فرسا آخر مقبلا نحوها ، فنهضت وتناولت خطافا صوبته إليه فانغرس فى ظهره ، فظهر على محياها السرور ، وراح أحمس ابن إبانا وابن بنب وباك ان آمون يرقبونها .

وأجفل فرس البحر فلم ترخ الأميرة الحبل له ، بل حاولت أن تجذبه فاختل توازنها فصرخت فزعة وسقطت فى الماء وهجم عليها فرس البحر وهم بافتراسها ، فخطف ابن بنب حربة صوبها إليه فغاصت فى لحمه ، ثم قفز إلى الماء وسبح بسرعة فائقة حتى وصل إلى الأميرة فوضع يده حول خصرها وعاد بها إلى مركبه .

سمع الأمير أحمس صرخة الأميرة سشن . فالتفت فرأى الأميرة فى اليم وفرس البحر يقترب منها ، فترك حبله وتناول خنجره وهم بالقفز فى الماء ، ولكنه لمح حربة ابن بنب تستقر فى ظهر الفرس وابن بنب يشق الماء شقا ، فوقف ينظر إليه فى إكبار وإعجاب .

وصل ابن بنب بالأميرة إلى المركب ، فمد ابن إبانا وباك ان آمون أيديهما ورفعا الأميرة ، ثم طلع ابن بنب إلى ظهر المركب . ووضعت الأميرة على مسند خشبى والماء يقطر من شعرها وملابسها ، فراح ابن بنب يدلك يديها حتى فتحت عينيها فقال لها:

ـ كيف حال مولاتى الآن ؟

ـ على أحسن حال .

واقترب مركب الأمير أحمس من مركب ابن بنب حتى التصق به ، واستفسر الأمير عن الأميرة فقال ابن إبانا :

ـ لم يصبها سوى البلل يا مولاى ، وهى فى أحسن حال .

وقفز الأمير أونش إلى المركب الثانى ، وأسرع إلى الأميرة وقال:

ـ شكرا لآمون على نجاتك .

فنظرت إلى ابن بنب وقالت :

ـ وشكرا لابن بنب فلولاه ..

والتقت عيناها بعينى ابن بنب فأشرق وجهها بابتسامة لطيفة اكفهر لها وجه الأمير أونش .

وقال الأمير أحمس : إلى الشاطىء سريعا حتى لا تصاب الأميرة ببرد .

وراحت المجاديف تتحرك بتوافق كأن يدا واحدة تحركها ، حتى وصلت المراكب إلى الشاطىء فنزل الأمير أحمس وزوجته ، وهمت الأميرة سشن بالنزول فمد الأمير أونش يده لتتكىء عليها ، ولكن ابن بنب كان قد قفز إلى الشاطىء فمد يده لها فاتكأت عليها ونزلت إلى البر ، والأمير أونش خلفها يتميز غيظا .

واستقل الجميع عرباتهم ، وسار ابن بنب خلف العربة التى بها الأميرة سشن ، فكانت تجود عليه من وقت لآخر بنظرة ترفعه من الأرض إلى السماء .

*وصل الركب إلى القصر ، ودخلت الأميرة سشن لتغير ملابسها ، واستأذن الأمير أونش وباك ان آمون وابن إبانا وانصرفوا .

ولمح ابن بنب الأميرة سشن تغادر القصر وتنزل فى الدرج ، فتظاهر بأنه يجول فى الحديقة ، وسار بخطا متثاقلة حتى أصبح على قيد خطوات منها .

فابتدرته : إنى آسفه لما سببته لك اليوم من عناء .

فابتسم ابن بنب وقال : لا تذكرى ذلك يا مولاتى .

فقالت الأميرة : لقد أسديت إلى يدا لن أنساها لك ، ويسرنى أن

أستقبلك فى دارى وقتما تشاء .

ـ أشكر لمولاتى عطفها على .

ـ تعال غدا إن أحببت نتسلى بصيد الطيور .. لا أفراس البحر .

فابتسم ابن بنب وقال : سآتى يا مولاتى .

٥

سكنن رع

دخلت الوصيفة نفرت غرفة سيدتها الأميرة سشن ، وكانت الأميرة ممددة فى فراشها سابحة فى تأملاتها لاهية عن كل ماحولها حتى إنها لم تنتبه لدخولها ، فقالت لها : صباح الخير يا مولاتى !

فهبطت الأميرة من سماء خيالها ، والتفتت إلى الوصيفة وقالت : صباح الخير يا نفرت !

ـ فيم تفكرين يامولاتى ؟

ـ فى حوادث الأمس يانفرت ، إنى آسفة فقد قطعت على القوم لذة رياضتهم

ـ ليس الذنب ذنبك يا مولاتى .

ـ ذنب من إذن ؟ إن هذه الرياضة رياضة الرجال ، فما الذى أغرانى بأن أصوب الخطاف إلى فرس النهر ؟ .. إن قوة خفية دفعتنى إلى ذلك .

ـ إنها يد القدر أرادت أن تربط بينكما .

ـ كفى هذرا يا نفرت .

ـ لم أقل يا مولاتى إلا ما سمعته منك . فعندما كنت تحدثيننى عنه أمس صورته لى بطلا من أبطال قصصنا الخرافية .

ـ لم أجاوز الحقيقة فيما قلت ، بل أعتقد أنى لم أوفه حقه .

ـ إنها عين الحب تجسم محاسن الحبيب .

ـ سترينه اليوم وتتحققين .

ـ هل يحضر اليوم يامولاتى ؟

ـ أجل ، فقد دعوته أمس .

ـ إذن سأرى فارس مولاتى .

وهمت نفرت بالانصراف ولكنها تذكرت ما جاءت من أجله ، فقالت:

ـ أقبلت سيدة من قبل الأمير أونش .

ـ وماذا تريد ؟

ـ لا أدرى .. قالت إنها ترغب فى مقابلتك فى شأن خاص .

ـ لعله أرسلها لتسأل عنى . قولى لها إنى أشكر للأمير اهتمامه بأمرى وأنى فى صحة جيدة .

ـ لو أنها جاءت من أجل ذلك لأخبرتنى ، ولكنها قالت إنها ترجو المثول بين يديك لأمرهام .

ـ حسنا ! دعيها تنتظر .

وبعد قليل كانت الأميرة سشن تستقبل ضيفتها التى قالت :

ـ أرسلنى الأمير أونش لأزف لمولاتى تحياته ، ولأسأل عن صحتك.

ـ بلغى الأمير شكرى .

ـ إن لك عند الأمير منزلة عظيمة ، وكان بوده أن يحضر بنفسه ليطمئن عليك ولاسيما أنه يرغب فى أن يعرض عليك أمرا ، ولكنه رأى أخيرا أن النساء خير من يقوم بهذه المهمة .

ـ أية مهمة ؟

ـ إن مولاى الأمير أونش يطمع فى أن تقبلى الزواج منه .

فأطرقت الأميرة سشن وجرى الدم حارا فى عروقها ، فحسبت السيدة أن سكوتها علامة القبول فقالت لها :

ـ إنى أهنئك من كل قلبى .

ـ ومن أخبرك أنى أوافق .. آسفة ياسيدتى إذ لا يمكننى أن أقبل ما كان يرفضه أبى .

ـ أترفضين الزواج من الأمير أونش ؟ إن أميرات مصر جميعا تتمنى كل واحدة منهن أن يسعدها الحظ فتكون له زوجة ... ولو علمت مقدار حبه لك ما ترددت لحظة واحدة .

ـ لو كان والدى حيا وعرض عليه الأمير أونش هذا العرض لرفضه، لذلك لايسعنى إلا الرفض .

ـ بل لو كان مولاى سكنن رع حيا لفرح بهذا الزوا ج وباركه . فكرى يا مولاتى ، إن خير شباب مصر يطلب الزواج منك . كنت أحسب يا مولاتى أن هذا الخبر يسكرك بنشوة الفرح ، كنت أحسب يامولاتى..

فانفجرت الأميرة سشن فى السيدة :

ـ كفى ، كفى يا سيدتى .. أنسى الأمير أونش يوم قاتل

المغتصبون أبى ، فطلب أبى العون منه فلم يتحرك لنجدته ؟ . أنسى أنه تخلى عن إخوانه فى وقت محنتهم فتمكن العدو من تشتيتهم وقتل أبى ؟ .

وهبت واقفة يتطاير الشرر من عينيها ، فنهضت السيدة قالت:

ــ آسفة يا مولاتى ، ما كنت أدرى أنى أسبب لك كل هذا الكدر ..

ــ وداعا يا سيدتى .

وخرجت السيدة ، وجلست الأميرة على كرسيها وأمارات الغضب بادية على وجهها ، ودخلت نفرت فراعها ما يبدو على مولاتها فسألتها:

ــ ما بال مولاتى ؟ .

ــ أونش .

ــ مادهاه ؟

ــ يساعد على قتل أبى بالأمس ، ويجىء ليخطبنى اليوم .

ثم عادت الأميرة إلى غرفتها وانصرفت نفرت إلى شئون القصر، وبعد ساعة أقبل خادم وأنبأها أن شابا يلتمس مقابلة الأميرة فسألته :

ــ ما اسمه ؟

ــ أحمس بن بنب .

ــ دعه يدخل .

ووقفت عند الباب تستقبله ، دخل ابن بنب بقامته المديدة الممشوقة، وشعره الأسود الفاحم وحيا نفرت ، فرحبت بمقدمه وقالت:

ــ تفضل ، ستكون مولاتى هنا بعد لحظات .

وراحت تبلغ مولاتها وهى تقول فى نفسها :

ـ إنه بطل قصصنا الخرافية ولاشك .

ودخلت نفرت على مولاتها وقالت :

ـ قد حضر فارس مولاتى .

فهبت سشن من فراشها ، ووقفت أمام المرآة هنيهة فصففت شعرها وتعطرت ، ثم اتجهت إلى حيث كان ابن بنب فحيته وجلست بجواره .

قال ابن بنب : هل جاء ابن إبانا ؟

ـ لا .

ـ أخبرنى أنه سيحضر ليسأل عنك ..

فابتسمت الأميرة وقالت : لم يسأل عنى إلا الأمير أونش ، فقد أرسل سيدة تسأل عن صحتى وتخطبنى له .

فأطرق ابن بنب هنيهة ثم رفع رأسه وقال : هل لى أن أتقدم إليك بالتهنئة ؟ .

فضحكت الأميرة وقالت : ولكنى رفضت طلبه ، فأنا لاأرتاح إليه..

فقال ابن بنب : ولم ؟

ـ كان أبى يحكم الجنوب وكان أبوبى ملك الهكسوس يحكم الشمال ، وبنى أبوبى معبدا فخما فى أواريس للإله سوتنخ وأصبح لا يدين لغيره من الآلهة وكان يقرب إليه القرابين كل يوم ، كان كل الحكام التابعين للملك أبوبى يحجون إلى ذلك المعبد.

عبد كل الحكام سوتنخ ماعدا أبى فإنه استمر على عبادة آمون العظيم ، فغضب أبوبى لذلك وأراد أن يفرض عبادة سوتنخ على أهالى

طيبة لأنه كان يعلم أن طيبة هى مقر عبادة آمون ، فإذا عبدت طيبة سوتنخ عبده الجنوب معها . فأرسل إلى أبى يطلب منه أن يعبدإلاههم وأن يشيد له معبدا ، فرفض أبى ذلك فاحتملها أبوبى فى نفسه .وذات يوم أرسل إلى أبى رسلا فلما مثلوا بين يديه قالوا :

ـ أرسلنا الملك أبوبى لنخبركم أن أفراس البحر المقدسة ببحيرة طيبة تحرم جلالته النوم ، فصياحها يرن فى أذنيه ليلا ونهارا .

فقال أبى : إن بيننا وبين أواريس سفر أيام وليال ، فكيف تصل أصوات أفراس البحر إلى مسامع مولاكم ؟

فقالوا : وقد كلفنا أن نخبركم أنه سيحضر بنفسه ليقتلها .

فقال أبى : قولوا لمولاكم إن الأمير سكنن رع لن يدعك تقتل أفراس البحر المقدسة ، وإنه يعلم أنك إنما تريد إشعال نار الحرب .. قولوا له إنى على استعداد لملاقاته وإنى قد عزمت على طرده وأهله من البلاد .

فقالوا : لا قبل لكم بقتال مولانا ، وخير لكم مهادنته ودفع الجزية له .

فقال أبى : لن أستحق أن أكون حاكما على الجنوب إن تهاونت فى حقوق أهله ، ولن أدفع لكم شيئا وسأخلص الشمال من شروركم وآثامكم.

ثم أشار إلى رجال حاشيته ليخرجوا أولئك الرسل .

غضب أبى غضبة شديدة ، واستدعى جميع قواده ورؤساء مملكته ويلغهم رسالة الملك أبوبى ، وقال لهم :

ـ إن ملك الهكسوس يرغب فى إخضاع الجنوب ثانية ، فإن استكنا وانتظرنا حتى يهاجمنا قاتلنا فى عقر دارنا ، فيسبى نساءنا ويأسر أطفالنا ، وإنى أرى أن خير وسيلة هى إعلان الحرب عليه والخروج لمقاتلته .

ووافق الجميع على رأى أبى وأعلن الجنوب الحرب على الهكسوس، وأخذ رؤساء الأقاليم يمدون أبى بالجنود ماعدا الأمير أونش فإنه رفض ، وقال إنه لا يرمى بجنوده فى حرب لن تكون نتيجتها إلا خضوع الجنوب للشمال ، فالملك أبوبى قوى ولن يستطيع الجنوب أن يقف فى وجهه . فغضب أبى لذلك وقال عند ما أعود سألقن الأمير أونش درسا لن ينساه، ولكن أبى ذهب ولم يعد .

فسأل ابن بنب : وما سبب هزيمة مولاى سكنن رع ؟

ـ كان عدد جنوده قليلا ، وكان يأمل أن ينضم إليه الأمير أونش بجنوده فتتوازن القوى ، ولكن تخلى الأمير أونش رجح كفة الهكسوس .

فعندما سار أبى على رأس جيشه والتحم بجيوش الأعداء ، انتصر عليهم أول الأمر فأسكره خمر الانتصار ولم ينتظر وصول المدد إليه ، بل كر على الأعداء فطوقوا جيشه من كل جانب ، ودارت معركة رهيبة قتل فيها كثيرون وجرح أبى ، ولكن استمر يقاتل إلى أن أصيب بضربة قاتلة فخر صريعا . وبموته انتهت المعركة وعاد الهكسوس إلى ديارهم يضمدون جراحهم .

ـ لم تنته المعركة يا مولاتى .

ـ قد مكن الأمير أونش الأعداء من قتل أبى .

ـ لاتحزنى يا مولاتى فقد دنت ساعة الانتقام .

ـ سيكون يوم الانتصار عليهم وطردهم أبهج يوم فى حياتى .

ـ وسيكون أسعد يوم فى تاريخ مصر .

ودخلت نفرت يتبعها خادمان يحملان أوانى من الفضة بها فواكة مختلفة الألوان ، وضعت عل منضدة أمام الأميرة ، وابن بنب فأخذا يتناولان منها ، ولما انتهيا قالت الأميرة :

ـ دعوتك أمس لصيد الطيور ، فتعال لنرى مهارتك .

فابتسم ابن بنب وخرجا إلى الحديقة ، ونادت الأميرة خادما وطلبت منه أن يحضر لهما الشباك والفخاخ وبعض الطعام الذى تحبه الطيور ، فأحضر الرجل ما أمر به .

وتناول ابن بنب الشباك وطعام الطيور ، وتناولت الأميرة الفخاخ فسألها ابن بنب :

ـ هل تشتركين معى فى إلقاء الشباك على الطيور ؟

ـ أجل .

ـ إذن خذى طرف الشبكة .

ـ انتظر حتى أنصب هذا الفخ .

وفتحت الأميرة سشن الفخ ووضعته فى الأرض ، وهالت عليه التراب ووضعت فوقه بعض الحبوب ، فنظر إليها ابن بنب وقال :

ـ إنك ماهرة فى نصب الفخاخ .

فابتسمت الأميرة وقالت : حاذر !

وتركت الأميرة الفخ وسارت مع ابن بنب حى وصلا إلى نبات البردى ، فوضع ابن بنب فوق الأوراق بعض الطعام وأخذ طرف الشبكة فى يده ،وتناولت الأميرة الطرف الثانى واختبآ ، فقالت الأميرة :

ـ فلنلق الشبكة فقد حطت طيور كثيرة .

ـ انتظرى ستحط طيور أخرى .

ـ يالك من طماع !

ـ شعارى أن أحصل على كل شىء ، أو لاشىء.

ـ ستحصل على لاشىء ، فسيأكل الطير الطعام ويترك ورق البردى نظيفا .

وحط بعض الطيور ، فأشار لها فألقت الشبكة ، وأخذا يلمانها.

ثم سأل ابن بنب : أين القفص الذى سنضع فيه هذه الطيور ؟

فنادت الخادم وأمرته أن يحضر قفصا .

وذهب الرجل ليحضر ما أمر به وفى أثناء ذلك أطبق الفخ على عصفور صغير ، فخفت الأميرة إلى الفخ ففتحته وخلصت العصفور منه وراحت تمسحه بيدها ، ثم أدنته من خدها وقالت : يا للعصفور المسكين!

فابتسم ابن بنب وقال : بل يا للعصفور السعيد !

وعاد الخادم ووضع القفص أمام الأميرة .

وراحا يمدان أيديهما فى الشبكة ، ويخرجان منها البط ويضعانه فى القفص .

ومد ابن بنب يده يمسك بطة فأمسك بيد الأميرة .

فضحكت وقالت : دع هذه فهى لى .

فقال مداعبا : ولكنها كانت من نصيبى .

فضحكت ، ثم وقفت ترقب الطيور فى القفص وقالت :

ـ لقد صدنا طيرا كثيرا .

وسارا حتى بلغا حافة البحيرة فجلسا وقالت الأميرة :

ـ ستتناول الغداء معنا اليوم .

ـ يسرنى ذلك لولا أن الأمير ينتظرنى ، فنحن نستعد لعيد إيبت فلم يبق على أول السنة إلا يومان .

ـ أتذهب إلى المعبد مع الأمير ؟

ـ أجل .

ـ وبعد عودة الأمير ؟

ـ أكون طليقا .

ـ إذن سألقاك عند المعبد بعد عودة الأمير .

ـ سأكون هناك .

وساد السكون بينهما برهة ، فقطعه ابن بنب :

ـ سنعلن الحرب على الهكسوس عقب عيد إيبت .

ـ هل وصلت جنود النجاشى ؟

ـ قد يصلون اليوم أو غدا .

وأطرقت الأميرة هنيهة ثم قالت :

ـ ابتدأت أخشى هذه الحرب .

ـ ولم ؟

ـ لأنى أخاف ما قد تأتى به .

ـ فأبرقت عينا ابن بنب وقال : لاتخافى ، سننتصر عليهم ونشتت شملهم ونخرجهم من أرض الوطن ، وسأعود تزين الأوسمة صدرى .

ـ ستعود فى عربتك الحربية ، ويصطف الشعب لتحيتكم ويهتفون لكم .

ـ سيهتفون باسم الملك أحمس ملك الوجهين البحرى والقبلى وسيد البلاد .

ـ وسيلوحون لكم ، وسأقف بين الجماهير أصفق وينهمر الدمع من عينى من شدة الفرح ، فقد عاد منقذو مصر من أعدائها .

ـ يالها من أحلام .

ـ على ذكر الأحلام قد رأيت بالأمس حلما غريبا .

ـ وما هو ؟

ـ رأيت نسرين عظيمين يقتتلان بالقرب من وكر ، واشتد القتال بينهما ، وسال الدم منهما غزيرا ، وفى أثناء ذلك قبلت أفعى تنساب بين الأحجار ووقفت بالقرب من الوكر ترقب المعركة .

وظل النسران يقتتلان ، ودار أحدهما حول غريمه وأنشب مخالبه فى جسمه ، و راح الثانى يدافع عن نفسه دفاع المستميت فأثخن الهاجم بالجراح ، وما زالا فى اقتتال حتى سقط أحدهما جثة هامدة .

وجر النسر الآخر نفسه جرا حتى وصل إلى الوكر ، فسقط من شدة الإعياء ، ولم يكد يستقر فيه حتى تحركت الأفعى واتجهت إليه ، فلمحها ولكنه لم يستطع حراكا فنفثت فيه سمومها ، فخرج يخبط من الوكر وسقط ميتا بجوار عدوه القديم .

احتلت الأفعى الوكر فقتلت فراخ النسر وخلا لها الجو ، وكانت تتلفت حولها بحذر كأنما تخشى عدوا مهاجما ، ولما اطمأنت الى ما حولها نامت ملء جفونها .

وظهر فى السماء نسر هائل حجب قرص الشمس ، وأقبل نحو الوكر وانقض على الأفعى ، فأجفلت منه وانسابت بين الأحجار ، وفيما هى تسعى إذ لقيها أبى ، وكان فى يده عصا غليظة هوى بها على رأسها فماتت لساعتها .

فأطرق ابن بنب هنيهة ، ثم رفع رأسه وقال :

ــ إن رؤياك ظاهرة ، فأما النسران فهما ملوك مصر المتنازعون وأما الأفعى فالهكسوس أنفسهم ، وأما النسر الذى طرد الأفعى من الوكر فهو الأمير أحمس .

ــ وما دخل أبى ؟

ــ ثأر أبوك من قاتليه .

ــ إذن سننتصر .

ــ نعم سننتصر .

ونهض ابن بنب واستأذن فى الانصراف ، ولما خرج تمتمت الأميرة:

ــ سننتصر ، هكذا قالت الرؤيا ..

٦

الفرار

وقف هورداديف على شاطىء النيل يودع باك ان آمون ويلوح له بيده حتى غاب المركب وراء الأفق ، فالتفت إلى أعوانه وقال :

ـ مسكين باك ان آمون ، ما أقسى أن يعود الإنسان مخفقا !

فقال أحد أعوانه : إنما المسكين ديدى ، فقد سجن إلى الأبد بين أربعه جدران .

فقال هورداديف : إن حال باك ان آمون أدعى إلى الرثاء .. فما أصعب إبلاغ النبأ المحزن !

فقال أحد الرجال : إنهم لا يدرون أنه من أعوان أحمس .

فقال هورداديف : لو علموا ذلك لعاملوه معاملة الجواسيس .

فقال أحدهم : إنك وعدت باك ان آمون بتخليص ديدى ، وأرى أنه لا قبل لنا بذلك .

ـ سأخلصه ..

وعاد هورداديف إلى قصره ودعا أعوانه إليه ، وطلب منهم أن

يعملوا على نشر روح التمرد والثورة بين الشعب ، وأن يجمعوا المصريين حولهم ويبشروهم بأن عهد الخلاص قريب ، وأن الأمير أحمس قادم بجيشه لطرد الهكسوس وتحرير البلاد من ربقة الاستعباد .

وانتشرت دعوة هورداديف في الشمال انتشار النار في الهشيم، والتف حوله الشباب . ولما كثر عددهم جعل ينظم لهم رحلات للصيد في الظاهر ، ولكنه يدربهم على الأعمال العسكرية المنظمة.. فكان يدربهم على استعمال الرماح والحراب والنبال ، وركوب العربات الحربية ، وبذلك تكون في قلب أواريس عاصمة الهكسوس جيش صغير من المصريين الثائرين الحانقين على المستعبدين .

وعرف قصر هوداديف بين أعوانه بقصر الثورة ، فكان إذا سئل أحدهم إلى أين ؟ أجاب إلى قصر الثورة ، ومن أين ؟ من قصر الثورة، وبذلك حل قصر الثورة محل اسم هورداديف .

وفي ذات يوم حضر أحد الأعوان إلى قصر الثورة وبرفقته رجل غريب ، فدخل على هورداديف بعد أن ترك الغريب في الردهة وقال له:

ـ جئت اليوم ومعي رجل يريد أن ينضم إلينا .

ـ أتثق به ؟

ـ كل الثقة .

ـ من هو ؟

ـ اسمه آني ، وأعتقد أنه يفيدنا كثيرا فهو يعمل بقصر الملك .

ـ ماذا يعمل هناك ؟

ـ يحمل مروحة الملك .

ـ وما الذى دعاه لأن يكفر نعمة مولاه ، حاذر أن يكون جاسوسا .
ـ لا يا سيدى إنى أثق به ، وسأدعوه ليقص عليك قصته .
ثم خرج وعاد مع آنى :
قال آنى : سلام عليك يا سيد هورداديف .
ـ سلام عليك يا آنى .. أخبرنى الزميل أنك ترغب فى الانضمام إلينا .
ـ أجل يا سيدى .
ـ ومالذى دعاك إلى ذلك ؟
ـ إنى مصرى يا سيدى .
ـ ألهذا وحده ؟
فقال رفيقه : قص عليه كل شىء يا آنى .
فقال آنى : إنى أعمل بالقصر منذ عشر سنوات لم يمر على خلالها يوم سعيد واحد ، أحمل المروحة من الصباح وأظل أحركها حتى المساء ، ويشرب الملك حتى يثمل فيكيل لنا السباب ، أو يملأ كأسه فيرشف منها رشفة ويقذف الباقى فى وجوهنا ، وكثيرا ما يأمر بجلدنا لأتفه الأسباب. فمنذ يومين كانت كئوس الخمر أمامه وكان يضحك كالمعتوه فيهتز كل جسمه ، فاصطدمت يده بالكئوس فسقطت على الأرض ، فتطاير الغضب من عينيه وقال لى : أسقطت الكئوس بمروحتك أيها الكلب .
فقلت : لم تمسسها مروحتى يا مولاى .
فقال : أتجرؤ على الكذب أيها الفلاح القذر ؟ ..
وأشار لجلاده وقال : اجلده .

فتقدم الجلاد منى وطرحنى أرضا ونزل على بسوطه ، فارتفعت ضحكات المعتوه ، ولم أتمالك نفسى فصرخت فامتزجت صرخاتى بضحكاته .

فقال هورداديف : ياله من معتوه !

ـ إن من فى القصر ينتظرون بفارغ الصبر ذلك اليوم الذى يزاح فيه عنهم ذلك الكابوس .

فقال هورداديف : إن يوم الخلاص قريب .

ودخل حرحور وهو من أخلص أعوان هورداديف وقال :

ـ قد دعوت جميع الأعضاء إلى حضور اجتماعنا العظيم فى الليلة االمقبلة ، وأوصيتهم بالكتمان والحذر .

ـ هل دعوتهم جميعا ؟

ـ نعم دعوتهم جميعا .

ـ إنك لم تدع آنى الزميل الجديد .

ـ بل دعوته الآن عندما أنبأتكم أنى دعوت جميع الأعضاء .

فضحكوا جميعا ، واستأذن آنى وانصرف على أن يحضر فى الليلة التالية ليشهد الاجتماع العظيم .

* * *

وصل رسول الأمير أونش إلى أواريس واتجه إلى قصر الملك وهم بالدخول ، فاعترضه الحراس فأنبأهم أنه جاء برسالة هامة من الجنوب وأنه يرغب فى تسليمها للملك نفسه ، فدخل أحد الحراس وغاب فى القصر مدة ثم عاد وأشار للرسول ، فسار خلفه حتى بلغا غرفة أمين

القصر .

سأل الأمين : من أين قدمت ؟

ـ من طيبة . أرسلنى أونش برسالة وأمرنى أن أسلمها ليد فرعون العظيم .

فقال له الأمين : اتبعنى !

وسار فى ردهات القصر والرسول خلفه ، حتى وصلا إلى باب ضخم وقف عنده حارسان ، فلما لمحا الأمين انحنيا له وفتحا الباب ، فظهر فرعون على عرشه وبجانبه الوزير الأول وأمامه كئوس الخمر ، وراقصات القصر يرقصن رقصا رشيقا على أنغام الموسيقى ، وآنى يحرك المروحة بانتظام .

وانحنى الأمين لفرعون وقال :

ـ رسول من طيبة يا مولاى .

ـ دعه يدخل !

وأشار الملك للراقصات فانصرفن ، ودخل الرسول فسجد لفرعون، فلما أذن له بالنهوض نهض وقال :

ـ الأمير أونش يرفع لفرعون العظيم سيد البلاد تحياته ، ويقدم إليه خدماته المتواضعة .

وقدم الرسول الرسالة إلى الملك ، فأشار هذا للوزير فتناولها ، وقال الملك :

ـ اقرأها .

وشرع الوزير يتلو الرسالة ، فتحولت جميع حواس آنى آذانا واعية

وخفت حركة المروحة فى يده ، واستمر الوزير يقرأ إلى أن قال : إن الذى بين جدران سجنكم يا مولاى هو ديدى أخلص أعوان الأمير أحمس، فتخلصوا منه ونكلوا به ليكون عبرة لكل من يجرؤ على التجسس عليكم » فظهر الاهتمام على وجه الملك ، ووقفت المروحة فى يد آنى حتى لو التفت إليه أحد لارتاب فى أمره .

ولما انتهى الوزير من قراءة الرسالة قال الملك للرسول : بلغ الأمير أونش شكرى ، وقل له إن فرعون لن ينسى له خدماته الجليلة .

فقال الرسول : أدام سوتنخ عز مولاى .

والتفت الملك إلى الوزير وقال :

ـ سيكون حساب أحمس عسيرا ، أما ذلك الجاسوس فلأذيقنه مر العذاب .. مر الجنود بإحضاره من سجنه وإيداعه سجن القصر حتى الغد .. لأسملن عينيه حتى لا يرى ، ولأخرقن أذنيه حتى لا يسمع ، ولأقطعن لسانه حتى لا يتكلم ، وليكونن عبرة لكل من يتجسس علينا .

ثم قهقهه وقال : ولأرسلنه إلى الأمير أحمس ليروى له ما رأى وما سمع .

وتناول كأسا فأفرغها فى جوفه وقال للوزير :

ـ أكرموا رسول الأمير أونش .

* * *

أرخى الليل سدوله ونشر الظلام جناحيه وراح أعوان هورداديف يفدون إلى قصر الثورة ، فكان حرحور يستقبلهم ويجاذبهم أطراف

الحديث حتى اكتمل عقدهم ، فدخل على هورداديف وقال له :

ـ لقد حضر الأعوان جميعا .

ـ جميعا ؟

ـ إلا آنى .

ـ لا بأس .

ودخل هورداديف مكان الاجتماع وكان مضاء بقناديل مليئة بزيت الخروع الممزوج بقليل من الملح موضوعة على أوان من الفخار، وكان نورها أبيض ساطعا ، فلما لمح الأعضاء هورداديف وقفوا له وانحنوا بالتحية ، فأشار لهم بيده فجلسوا ، وابتدأ يتكلم فأنصتوا إليه :

ـ اجتمعنا كلنا الليلة لأول مرة فى صعيد واحد لغرض واحد، هو مساعدة الأمير أحمس على تحرير البلاد ، لقد وهبنا أرواحنا جميعا لمصر ولن نحجم عن بذلها فى سبيل استقلالها .. وها هى ذى ساعة العمل قد حانت فليكن كل منا مستعدا .

وتعلمون أن ديدى بين جدران السجن ، وقد قلت لباك ان آمون يبلغ مولاه الأمير أحمس أننا سنخلصه ، وقد مضت على ذلك مدة ولم نعمل شيئا . إنى أعلم أن العمل على تخليص ديدى محفوف بالأخطار، ولكننا لم نتعاهد لنقوم بأعمال سهلة ولا لنسير فى طرق معبدة ، إنما اتفقنا على أن نجعل من المستحيل ممكنا .. إن أمامنا غاية واضحة ، لن نصل إليها إلا بالتضحية والصبر على الشدائد واتحاد الكلمة ، فما تفرقت كلمة قوم إلا هانوا على أعدائهم وذلوا ، وذهبوا مع الريح .

وهنا اقترب حرحور من هورداديف وأسر فى أذنه أن آنى قد وصل ،

وإنه يرغب فى مقابلته حالا فى أمر يتعلق بديدى ، فالتفت هورداديف إلى الحاضرين وقال لهم : اسمحوا لى ببضع دقائق .

ثم خرج فقابل آنى ، فأنبأه هذا بخيانة الأمير أونش وعزمهم على تعذيب ديدى فى اليوم التالى فى الساحة المواجهة للقصر ، فعاد هورداديف إلى مكان الاجتماع وخاطب الحاضرين :

ــ علمت الآن أن الأمير أونش أرسل رسالة إلى الملك يعرض عليه فيها خدماته الوضيعة ، وإنه أعلم الملك أن ديدى جاسوس للأمير أحمس، فأمر الملك بنقل ديدى إلى سجن القصر ، وقد تم ذلك فعلا فديدى الآن فى قصر فرعون . وقد أمر فرعون بتعذيبه غدا فى ساحة القصر ليجعل منه عبرة ، ولكننا سنجعل من فرعون عبرة ، وسنلقى عليه درسا لن ينساه .

سنخلص ديدى أمام عينيه ، وسنخرج ديدى من أواريس على رغم أنف فرعون .

سننتشر فى الميدان ونندس بين الجماهير ، فإذا خرج الجنود بديدى انقضضنا عليهم وخلصناه منهم .

فعليك أنت يا حرحور أن تجهز عربة ذات جوادين سريعين وأن تنتظر بها قريبا من الميدان ، فإذا ما خلصنا ديدى طرت به إلى مرسى المراكب ليبحر إلى طيبة .

بقى أننا نحتاج إلى مركب سريع .

فنهض وينامون وقال : إنى أملك مركبا سريعا .

فقال هورداديف : حسن ! عليك أن تعده للسفر وأن تنتظر به عند

مرسى المراكب .

فنهض حرحور وقال : أرى أيها الإخوان ألا يشترك هورداديف معنا فى هجوم الغد فكل الناس يعرفونه ، وإن اشترك معنا تمكن فرعون من اقتفاء أثرنا .

فقال هورداديف : إن هذه أول مهمة محفوفة بالخطر نقوم بها ، فيجب أن أشترك فيها .

فقال حرحور : ليس من الخير أن يقبض عليك ، ففى ذلك قضاء على حركة الشمال .

فقال هورداديف : كيف تطلبون منى أن أفر من الميدان فى أول عمل لنا ؟ سأناصب فرعون العداء جهرة إن اقتضى الحال .

فقال حرحور : لم يشتد ساعدنا بعد حتى نجهر بالعداء ، فمن الحكمة أن نحاربه خفية .

ـ سأشترك فى تخليص ديدى ، وسأكون أول من يصل إليه .

ـ ليس هذا رأيى .. وأرى أن يعرض الأمر على الأعضاء .

وأدلى كل برأيه ، فكان الرأى ألا يشترك هورداديف فى هجوم الغد بل ينتظر بعربته ، حتى إذا خلص ديدى انطلق به .

قال هورداديف :

ـ سأنزل على رغبتكم .. أرجو أن ننجح فى مهمتنا .

فقال حرحور :

ـ سندق أول مسمار فى تابوت فرعون المزيف .

فقال هورداديف : على نجاحكم يتوقف مستقبلنا ، فإن تمكنتم من

توجيه هذه الضربة إلى فرعون فلن تقوم له بعدها قائمة ، فستفتح أعين الشعب ويعلم المصريون أن فرعون ما هو إلا بشر مثلهم وما هو من أبناء الإله رع ، وأن من المستطاع عصيان أمره والثورة فى وجهه وطرده من البلاد .

فقال حرحور : قد انتصف الليل فلننصرف الآن بسلام ، وموعدنا الميدان فى صباح غد .

فتسلل المجتمعون تحت جنح الظلام ، ولم يبق إلا هورداديف وحرحور .

قال حرحور : ادخل يا سيدى لتستريح ، فإن أمامك يوما شاقا وعملا كثيرا .

ــ لن أستريح حتى يقلع المركب بديدى إلى طيبة .

ــ هل تمكث هنا بقية الليل ؟

ــ سأقوم لأجهز عربتى .

ــ إن لديك فسحة من الوقت فقم الآن إلى فراشك .

ــ لن تغمض لى عين .

وقام هورداديف ، وسار وحوحور خلفه حتى بلغا مكان العربات، فاختار عربة وأخذ يفحص عن قوتها ثم أخرجها من بين العربات ، وانتحى نحو مكان الجياد فانتخب جوادين كريمين . ثم عادا إلى حديقة القصر فألفيا الهدوء شاملا ، فجلسا على مقعد هناك وغرقا فى بحر من التأملات ، وقطع حرحور حبل السكوت فقال :

ــ عرضت الآن ما حدث الليلة فرأيت أننا رسمنا خطة الهجوم ولم

نفكر فيما نتبعه فى حالة الإخفاق .

فقال هورداديف : لن نخفق يا حرحور فعددنا أكبر من عدد الحراس الذين يشرفون على النظام ، ولنا ميزة الاستعداد والمفاجأة فسنخلصه قبل أن يثوبوا إلى رشدهم ، ذلك إلى إنه لابد أن يقع بين الشعب هرج واضطراب يعوق الحراس عن تأدية عملهم . فقال حرحور: العقل يقضى أن نفكر فى كل الاحتمالات ، وأن نضع الخطة التى تتبع فى كل حالة .

ـ اطمئن ، فسيسير كل شىء على ما نشتهى .

ـ إنى أشعر بنشوة عظيمة كلما فكرت فى أننا سنسخر من فرعون وجنوده .

وساد الصمت بينهما ثانية ، وطال عليهما الليل كأنما الليل ليس له نهاية ، وأخيرا لاحت تباشير الصباح فقام هورداديف واستقل عربته ، واتجه حرحور إلى الميدان .

وصل حرحور إلى الميدان فرأى بعض الأعوان قد وصلوا قبله وكانوا فى مواضع متقاربة ، فأشار لهم فتفرقوا ، وأخذت الجماهير تتدفق حتى ليظن أن أواريس خلت من سكانها أو كادت .

ودقت الطبول دقات رهيبة متتابعة ، ونفخ فى البوق فخرج بعض الجنود من القصر يحملون وجاقا به نار وضعوه فى وسط الميدان ، وأقبل جندى يحمل قضبانا من النحاس لها مقابض من الخشب وضعها فوق الوجاق .

واستمر دق الطبول فخرج عدد آخر من الجند من القصر انتشروا فى الميدان ، واتجه جندى إلى الوجاق ورفع أحد القضبان فكان محمرا

كالجمر، ثم وضعه مكانه وانتظر قدوم الضحية .

وظهر ديدى عند باب القصر بين أربعة من الجنود ، وكان هزيل الجسم أشعث أغبر طويل اللحية مكبلا بالسلاسل .

ونفخ فى البوق ثانية فظهر الملك فى الشرفة فانحنى له الجميع بالتحية . وكان ديدى فى هذه الأثناء يسير إلى الميدان بين حراسه فانتهز الأعوان الفرصة وهجموا على الجنود ، ومد حرحور يده فجذب ديدى وفى أقل من لمح البصر اخترق به صفوف الجماهير .

وأخذ الناس بهذه المفاجأة ، فاضطربوا وهاجوا وماجوا ، فساعد ذلك على اختفاء الهاربين .

وذعر الجنود ، وأسرع الذين يحافظون على النظام لنجدة إخوانهم ولكن بعد فوات الوقت .

واندس الأعوان بين الجماهير ، وتمكن الجنود من القبض على ثلاثة منهم فهاج الشعب وخلص اثنين من أيديهم ، وقاد أعوان هورداديف الثورة فهتفوا بسقوط فرعون الظالم ، فتبعهم الشعب وهتف بهتافهم .

وكان الملك فى أثناء ذلك يزأر فى شرفته كوحش كاسر ، فالتفت إلى قائد جيوشه وأمره أن يشتت شمل الشعب الثائر .

وخرج من القصر فرسان كثيرون انطلقوا نحو الجماهير وراحوا يضربون بالسياط ، حتى لم يبق فى الميدان إلا جند فرعون وأونى أحد أعوان هورداديف مقبوضا عليه ، فاقتادوه إلى القصر .

* * *

وصل حرحور وديدى إلى الطريق العام فلمحا هورداديف ينتظرهما في عربته ، فلما رآهما أسرع نحوهما وهو يهتف : ديدى .. ديدى ! ..

وساعد حرحور ديدى على الركوب ، وانطلق هورداديف يسابق الريح إلى مرسى المراكب ، فقال ديدى :

ـ شكرا لك يا هورداديف !

ـ بل شكرا لآمون .

ـ إلى أين ؟

ـ إلى مركب ويناموين فهو فى انتظارنا ، وسيقلع بك إلى طيبة حالا .

فقال ديدى : وتلك الأغلال .

ـ تحطم فى المركب .

ـ ولكن لم أحضرونى من سجنى ؟

ـ ليسملوا عينيك ويخرقوا أذنيك ويقطعوا لسانك ، فقد أرسل الأمير أونش رسالة إلى فرعون أنبأه فيها أنك جاسوس .

ـ الأمير أونش ؟ ياله من خائن .

ـ لا تحزن ، فعلى الباغى تدور الدوائر .

وكان هورداديف يحث الجوادين على الإسراع حتى وصـــل إلى النيل ، فهتف : ويناموين ! .. ويناموين !

فأشار ويناموين لهورداديف بيده ، ونزل ديدى إلى المركب وقال هورداديف لديدى :

ـ بلغ مولاى الأمير أحمس أن أهل الشمال ينتظرون قدومه بنافد

الصبر .

وتحرك المركب ، فأشار ديدى لهوردادیف وقال :

ـ وداعا ، وشكرا !

ـ وداعا يا ديدى ! فى حفظ آمون !

وسار المركب وهوردادیف يرقبه ، حتى غاب عن ناظريه فتمتم:

ـ هذا أسعد يوم فى حياتى .

ولما وصل هوردادیف إلى قصره ألفى حرحور ينتظره ، فقال له : لقد تم كل شىء على ما يرام ، وها هو ذا ديدى فى طريقه إلى طيبة .

فلزم حرحور الصمت فسأله هوردادیف :

ـ ما بك ؟ ..

ـ قبض على أونى .

فأطرق هوردادیف هنيهة ، ثم رفع رأسه وقال :

ـ أتريد أن ننتصر بلا تضحية ؟

ـ سيعذبونه ، وسيرغمونه على أن يبوح بأسماء شركائه ، وفى هذا القضاء علينا وعلى حركة الشمال .

ـ لن يبوح أونى بشىء .. أنا واثق من ذلك .

ـ إن لهم فى التعذيب أساليب رهيبة .

ـ ولو قطعوه أربا أربا .

* * *

وأمر الملك بإحضار أونى إليه ، فسار ثمانية جنود فى صفين ، وسار أونى بينهم حتى بلغوا مكان الملك ، فانحنوا جميعا ماعدا أونى

فإنه وقف منتصب القامة ، فالتفت إليه أحد الأمناء وقال :

ـ انحن أيها الكلب فإنك فى حضرة فرعون العظيم ، سيد البلاد .

فنظر أونى إليه شزرا وقال : إن سيد البلاد هناك فى طيبة ، وإنه لقادم ليخلص البلاد منكم ومن شروركم .

فهب فرعون من على عرشه ، واتجه إلى حيث وقف أونى وصفعه صفعه شديدة ، وقال بغضب :

ـ لحساب من تعمل أيها الكلب النجس ؟

ـ لحساب ضميرى .

ـ من شركاؤك ؟

ـ المصريون جميعا .

فقال الملك بغيظ : سنرى إلى متى تصر على الكتمان .

ـ إلى يوم أقابل أوزوريس .

فأشار الملك إلى أحد الحرس وقال :

ـ الجلاد .

فغاب الحارس مدة ، ثم عاد وخلفه العبد الأسود الذى جلد ديدى ، فأشار الملك إلى أونى فجذبه الجلاد وطرحه أرضا ، وراح يضربه بقسوة اقشعر لها جسم آنى فوقفت المروحة فى يده .

وتفصد الدم من جسم أونى ، فأشار الملك للجلاد فكف عن الضرب ، وتقدم أحد الأمناء من أونى وسأله :

ـ اعترف خير لك .. من رفقاؤك ؟

فهز أونى رأسه ، فأشار الملك للجلاد فاستأنف الضرب .

ثم أحضرت قضبان محماة ووضعت على جسم أونى فتأوه ، ورفع يده بجهد فصاح الملك : ارفعوا القضبان . سيعترف .

واقترب الملك من أونى ، فقال هذا بصوت خافت :

ــ ستزول دولتك ، وتمحى آثارك .. يا ظالم !

فرفسه الملك بغضب وصاح بجنده :

ــ خذوه إلى غرفة التعذيب .. وعذبوه إلى أن يعترف .

فنقل أونى إلى غرفة مظلمة بها سياط وسلاسل وكير نار ، وراح أعوان الملك يعذبونه وأغمى عليه أكثر من مرة ، وكان كلما عاد إلى رشده استأنفوا تعذيبه ، وأخيرا حمل رجلان منهم وعاء كبيرا به ماء مغلى وصباه فوق رأسه .

وانحنى أحدهم عليه فوجده جثة هامدة ، فأسرع إلى غرفة الملك فسأله هذا :

ــ هل اعترف ؟

ــ كلا يا مولاى .. لقد مات !

ــ إذن يصلب الليلة فى المدينة ، حتى إذا كان الغد رآه الناس فكان لهم عبرة .

وفى الليل ، اتجه آنى إلى قصر هورداديف وأعلمه أن أونى قد مات ، وأنهم صلبوه فى الميدان الكبير .

فاغرورقت عينا هورداديف بالدمع وقال : لقد كان رجلا !

فقال آنى : وقد مات رجلا !

قال هورداديف : يجب ألا تمتهن جثته

وفى صبيحة اليوم التالى رأى سكان أواريس صليبا من الخشب تتدلى منه حبال ممزقة ، ولم يجدوا جثة المصلوب .

وهكذا ضرب هورداديف ضربته الثانية .

٧

عيد إيبت (رأس السنة)

لبست طيبة حلة قشيبة فى يوم رأس السنة الجديدة ، وأقبل الناس من البلاد القريبة والبعيدة ليشتركوا فى عيد إيبت ، وليقدموا القرابين « للثالوث » العظيم المكون من : آمون طيبة وزوجة موث وابنه خونسو، واتجه الناس من جميع الطبقات إلى سوق طيبة ليقضوا حوائجهم وليستعدوا لليوم العظيم .

وجلس التجار أمام حوانيتهم ، وكانت تتألف من خيم أومظلات متوسطة الاتساع مفتوحة من الجهة الأمامية والبضائع مكدسة فيها، فكان بعضهم يعرض صناديق بديعة الصنع جميلة المنظر ، وجلابيب مزخرفة نادرة ، وبعضهم الآخر يعرض أقراطا وأساور وغيرها . وجلس فى ناحية من السوق صائغ أمام فرن صغير ، وكان منهمكا فى عمله والناس يشاهدون ما يقوم بصنعه ويعجبون بمهارته ودقته .

وأقبلت إلى السوق زوج النجار تحمل صندوقا من الخشب صنعه زوجها ، واتجهت به إلى بائع السمك وأعطته إياه وأخذت تساومه

على عدد السمكات التى تأخذها بدلا منه ، وجاءت زوج صانع الفخار وأعطت بائع العطو إناءين عوضا عما أخذته من عطر زكى ، وقبل الفلاحون يحملون حاصلات أراضيهم يستبدلون بها السلع التى لاتوجد إلا فى المدن .

* * *

وفى عصر يوم العيد ركب الأمير أحمس وابن إبانا فى عربة وركب باك ان آمون وابن بنب فى عربة ثانية ، وركب إيب وطبيب الملك الخاص فى عربة ثالثة ، وركب ضباط معهد أبناء مصر الحربيين فى ثلاث عربات أخرى ، واتجهت العربات صوب المعبد ، وكان يسير على جانبى العربات فرق من الجنود المشاة ، وكان المعبد غاصا بالأمراء ورجال الدين وعليه القوم ، والجماهير الذين جاءوا من جميع الجهات لتكريم آمون ولتقديم القرابين له .

وكان الكهنة ينتظرون الأمير عند الباب الكبير للمعبد ، فلما نزل من عربته انحنوا له وأخذوا يفسحون الطريق ، فدخل أولا إلى فناء المعبد غير المسقوف المعد لاجتماع أفراد الشعب ، ثم دخل إلى البهو الثانى المسقوف المعد لأفراد الطبقة الممتازة فحياه كل الموجودين ، ثم ارتفعت أصوات الكهنة فرتلوا ترتيلة إيقاد النار ، ثم تلوها بترتية اشعال النار بالمباخر ، ثم تقدم كبير الكهنة من الأمير وسلمه مبخرة جميلة فتناولها وسار بها إلى قدس الأقداس ، وهو مكان مظلم لا يتسرب إليه النور إلا من فتحة صغيرة مربعة فى سقفه وبه الناووس ، وهذا عبارة عن حجرة صغيرة من الجرانيت بداخلها تمثال الإله آمون .

وفض الأمير الأختام ودخل قدس الأقداس ، ولما أصبح أمام الناووس أخذ يرتل بصوت مشج .

وكان التمثال موضوعا فى زورق نيلى ، ومغطى بستر فلم يكن يظهر منه شىء . وجاء كبير الكهنة وكان يحمل صندوقا به أوان مختلفة تستعمل فى تزيين الإله .

وكشف الأمير أحمس الستر عن التمثال وانحنى أمامه ، وقبل الكاهن الأرض ، ثم قرب الأمير أحمس البخور من أنف التمثال ، وتناول الصندوق الذى يحمله الكاهن وأخرج منه الأوانى وراح يزين الإله آمون : فرش الماء على وجهه مرتين ، ثم وضع عليه ملابس من كتان بيضا وخضرا وحمرا وضمخة بالعطور ، ثم أسدل الستر على التمثال ، وتقدم ستة من الكهنة محلوقى الرءوس ملفوفى الأجسام فى كتان مصرى جميل ، وحملوا الزورق بقضبان على أكتافهم .

وخرج الكهنة بالزورق إلى البهو المسقوف فقبل الموجودون الأرض، وانضم إليهم عشرون كاهنا آخرون انقسموا أربع فرق : سارت فرقة منها فى مقدمة الزورق والثانية فى مؤخرته ، والثالثة عن يمينه ، والرابعة عن يساره . ثم خرجوا إلى الطريق العام حيث انتظم الموكب ، فسار فى المقدمة حامل البوق ، ثم فرقة الموسيقا ، ثم صاحب البخور فى يده مبخرة يتصاعد منها بخور ذو رائحة زكية ، ثم فرقة الراقصات ، ثم صف من حملة المراوح ، ثم الزورق يحف به الكهنة ، وإلى أقصى اليمين واليسار سار موظفان بملابس من جلد الفهد ، ثم صف آخر من حملة المراوح يروحون بمراوحهم للتمثال . ومن خلفهم سار الأمير أحمس والكهنة

وبعض أفراد الطبقة الممتازة .

ثم دقت الطبول وغرد الناى وارتفع شدو المنشدين ، وراحت الراقصات يرقصن .

واخترق الموكب على هذا النظام شوارع طيبة متجها صوب النيل .

وسأل صبى أباه :

ـ لماذا يسير الكهنة حول الزورق فى أربع فرق .

ـ ذلك لأن ملاحى زورق الإله رع إله الشمس الذى يعبر به السماء من الشرق إلى الغرب ينقسمون أربع فرق ، ولذلك نتبع نفس النظام تبركا وتشبها .

ووصل الموكب إلى شاطىء النيل فوضع الزورق المقدس على ظهر مركب كبير وركب الأمير أحمس ورجال الدين وعلية القوم فى مراكب فخمة ، وركب أفراد الشعب فى قوارب صغيرة .

وسارت أمام المركب المقدس مراكب بها فرق الموسيقا والمنشدون والراقصات ، وراح المنشدون يرتلون ، وجلجلت أصوات الطبول والناى .

وكان المركب الذى وضع به الزورق منقوشا بنقوش بديعة ، والمظلة التى تظله من الذهب الوهاج فكان يضىء ببريق يخطف الأبصار .

وسارت المراكب تتهادى ، ووقفت الجماهير على الضفة الأخرى ينتظرون تشريف الإله ، ثم رست المراكب وحمل الكهنة الزورق المقدس ، واستؤنف الموكب .

سار أمام الموكب زنجى يحمل طبلا يدق عليه دقا عنيفا ، وبجانبه آخر يقوم برقص عجيب ، وبعض الكهنة يدقون بالصنوج النحاسية .

وسار خلفهم الجنود فى صفوف منتظمة يحملون حرابهم ودورعهم .

وركب خلف الزورق الأمير أحمس وأعوانه فى عربتين ملكيتين ، وسار خلفهم بعض الكهنة ، ثم تلت الجموع الغفيرة من سكان طيبة وغيرهم من الذين قدموا إليها من البلدان القريبة البعيدة للحفاوة بآمون ، فرحين جذلين ، صائحين منشدين ، وخلفهم الصبيان يصفقون ويهتفون :

« يا آمون ...يا آمون »

واستقبل الموكب على باب المعبد الثاني الكاهنات المنشدات الراقصات ، ورحن يشدون بأناشيد دينية تبين عظمة آمون .

ودخل الموكب من باب المعبد ، ووضع الزورق المقدس على المذبح ، وتقدم الأمير أحمس فوضع أمام الإله الطعام والشراب من خبز ولحوم ونبيذ وفواكه ، لتتغذى منه روح الإله .

ولما انتهت المراسيم عاد الأمير أحمس إلى القصر وبرفقته ابن إبانا وابن بنب وباك ان آمون ، ولم يكادوا يدخلون بهو الاجتماع حتى أقبلت زوج الأمير وأنبأته أن جيوش النجاشى قد وصلت إلى طيبة .

فقال الأمير أحمس : سأقيم فى قصرى بعد غد حفلا لجميع الأمراء ورجال الدولة ، وأعلن فيه الحرب على الهكسوس . فعليك يابن إبانا أن تتصل بجميع الأمراء وتدعوهم لحضور الحفل ، وعليك يا باك ان آمون أن تدعو رجال الدولة ، أما أنت يابن بنب فيمكنك أن تشترك مع الشعب فى مباهجه .

فشعر ابن بنب بفرح شديد ، فقد كان يخشى أن يكلفه الأمير

بعمل ما يعوقه عن مقابلة الأميرة سشن .

وخرج ابن إبانا يدعو الأمراء ، وخرج باك ان آمون يدعو رجال الدولة ، وخرج ابن بنب يلبى نداء قلبه .

ووصل ابن بنب إلى المعبد فألفى الأميرة سشن فى انتظاره ، فدخلا المعبد يلتمسان البركة من الإلة .

وكان الزوار يقدمون القرابين ، ورجال الدين يوزعون الطعام على الفقراء . فاتجها إلى المذبح وانحنيا أمام تمثال آمون بخشوع ، فقال ابن بنب :

ـ إلهى آمون . سنعلن الحرب على الهكسوس أعدائك وأعداء الوطن ، فانصرنا عليهم .. إلهى آمون بارك أعمالنا ، وبلغنا آمالنا ، وأدم علينا نعمك .

وخرجا من المعبد فوجدا كل جماعة من الناس يجتمعون تحت خيمة توقيا من الشمس والراقصات يرقصن والمغنون يشدون ، والرجال والنساء والأطفال يصفقون ، فوقفا يشاهدان مايجرى أمامهما ، واستمرا يتنقلان من مكان إلى مكان كفراشتين طليقتين مرحتين .

وارتفع صوت الشادى رخيما من خيمة منعزلة ، فاتجها إليها ووقفا ببابها ، وطالت وقفتهما فلمحهما صاحب الخيمة فدعاهما للجلوس ، فخجلا وهما بالانصراف ، ولكنه ألح عليهما فجلسا تحت الخيمة وأنصتا للشادى وسكرا بنشوة الطرب ، وقدم إليهما الطعام والشراب فأكلا بشهوة .

وقامت ثلاث فتيات ورحن يتمايلن وينثنين على أنغام الناى

وأصوات الطبول ، واستمر القوم فى سرور وحبور حتى مالت الشمس ، فقال ابن بنب :

ـ يظهر أن الإله أسرع اليوم بمركبه ، فانقضى اليوم سريعا .

فقالت الأميرة سشن : إن الأوقات السعيدة تمر سراعا .

٨

الوليمة

وفى صباح يوم الحفل دب النشاط فى قصر الأمير أحمس وراح السيد إيب يشرف على أعمال الخدم ، فكان ينتقل بين الحديقة وبهو الاجتماع وغرفة الأكل الكبرى ، ولما استراح إلى نظام القصر عاد إلى حجرته يستريح .

وابتدأت الشمس فى المغيب ، وأضاء الخدم القناديل المنتشرة فى الحديقة والقصر فسطع نورها وأمسى القصر فى أبهى زينة ، ودخل أحمس بن بنب وأحمس بن إبانا وباك ان أمون بهو الاجتماع ، وكانوا يلبسون ملابس من الكتان الأبيض مخططة بخطوط صفر ، فلم يجدوا إلا السيد إيب الذى وقف ليستقبل المدعوين فقال باك ان آمون : لم يحضر الأمراء بعد .

فقال ابن إبانا : بقى على تشريفهم نصف ساعة .

فقال ابن بنب : أرجو أن يحضروا جميعا إلا واحدا .

فقال ابن إباما وباك ان آمون معا : الأمير أونش .

فأردف ابن بنب : نعم ، الأمير أونش .

فقال باك ان آمون : ولم ؟

فقال ابن بنب : لأنى لا أحب المنافقين الجبناء .

فقال إيب : كفى ، لا تخرج عن حدك .

ــ لو كان هنا الآن لقلت له أكثر من ذلك ، لو أنكم تعلمون ما أعلم..

وصمت ابن بنب ، وسأل باك ان آمون :

ــ وما الذى تعلمه ؟

ــ خيانة الأمير أونش .

فقال ابن إبانا : وكيف ؟

قال ابن بنب : خرجت أمس لأرتاض فقادتنى قدماى قريبا من قصر الأمير أونش ، فلمحت رجلا يخرج من القصر يتلفت حوله بعيون زائغة، فاسترعى ذلك انتباهى فتبعته حتى بلغ حانة بالقرب من سوق طيبة فدخلتها خلفه وجلست بجواره ، فطلب نبيذا وكان يفرغ كئوسا منه فى جوفه ، فانتهزت الفرصة وقلت له : ترفق بنفسك يا سيدى .

فقال لى : دعنى أشرب حتى أثمل ، لعلنى أنسى متاعبى .

فقلت له : خفف عن نفسك فقد تكون متاعبك أوهاما . فتناول الرجل كأسا أخرى وصبها فى جوفه وقال : هل كنت فى وقت ما مهددا بالقتل فى أية لحظة ؟ إنى يا سيدى عرضة للقتل غدا أو بعد غد ، بل اليوم ، وفى أيه ساعة ... فقد قال لى : سأقتلك أيها الكلب . فسألته : من قال لك ذلك ؟ فأجاب : الأمير أونش . فقلت : ولم ؟ فقال : نادانى أمس وقال لى إن جنودا من الأحباش قد وصلوا إلى طيبة ، فعليك أن

تعرف مكانهم وعددهم . فخرجت هائما على وجهى طول النهار فلم أهتد إلى مكانهم ، فعدت إلى القصر وأخبرت الأمير أنى لم أوفق لمعرفة شىء عنهم ، فاستشاط غيظا ولطمنى وقال لى : اخرج أيها الكلب .. لابد من قتلك . فقلت له مطمئنا : لعله كان فى ثورة غضبه ولا يدرى ما يقول . فقال الرجل : لا يا سيدى إنه لا يتورع عن ذلك .. فقد تغيرت أخلاقه وأصبح لا يطاق .. إنه يأتى بأعمال متناقضة حتى ليخيل إلى المرء أن قد مسه الجنون ...تصور أنه قتل أقرب المقربين إليه بلا سبب.. قتل الأمين زازمانخ ، وأطلق سراح عبده يوفرا وجهزه بعربة وجوادين كريمين خرج بها ولم يعد . إنى أخشى يا سيدى أن تحين ساعتى فيوقعنى جدى العاثر فى وجهه مرة أخرى ساعة غضبه . فطمأنت الرجل، ورحت أستدرجه حتى وصف لى ذلك العبد يوفرا ، فوجدت أوصافه تطابق أوصاف العبد الذى حاول اغتيال مولاى الأمير أحمس .

فقال ابن إبانا : أتظن الأمير أونش هو الذى حرضه ؟

فقال ابن بنب : بل وأقطع بذلك .

فقال باك ان آمون : لا يمكننا إبلاغ ذلك للأمير ، اذ ينقصنا الدليل الملموس .

فقال ابن بنب : لن أقول شيئا إلى أن أجد الدليل المقنع .

وتوافد المدعوون ، فدخل الأمراء يلبسون قمصان الصيد الضيقة وينتعلون نعالا بعضها من ورق البردى وبعضها من الجلد ويضعون على رءوسهم شعرا مستعارا ، والنساء يلبسن ملابس من الكتان الأبيض تكسو الجسم من الثديين إلى القدمين ، وتثبت فوق الكتفين بشريطين ،

ويضعون في رءوسهن أوراق اللوتس ، ويمسكن بأيديهن طاقات الأزهار.

ووصل الأمير أونش فانضم إلى الأمراء ، ودخلت الأميرة سشن وكانت في أجمل زينة ، فخف ابن بنب لملاقاتها ، وانتحيا ناحية وراحا يتجاذبان أطراف الحديث .

ودخل الكهنة وضباط معهد أبناء مصر الحربيين بملابسهم الرسمية ، ثم أقبل ضباط الجيش الحبشي الوافد فخف باك ان آمون وابن إبانا لملاقاتهم والحفاوة بهم .

واحتلت فرقة القصر الموسيقية مكانها ، وكانت تتألف من عازفين على العود المتوسط ذي السبعة الأوتار ، وعازف على العود الكبير ذي العشرين وترا يعزف عليه وهو واقف ، ونافخين في الناي ، وحاملين للصنوج ، وضاربين على الطبل .

ودخل إيب على الأمير أحمس وأعلمه أن المدعوين قد حضروا جميعا ، فقال الأمير :

ـ دع الأمير أونش وابن إبانا وابن بنب وباك ان آمون ينتظروني في الشرفة .

فخرج إيب ، واتجه إلى الأمير أونش وأخبره فاتجه من فوره إلى الشرفة الفخمة المتصلة ببهو الاجتماع ، ثم ابن إبانا وباك ان آمون ، وراح يبحث عن ابن بنب فألفاه يحادث الأميرة سشن في مكان منعزل ، فقال له :

ـ الأمير يطلبك في الشرفة فأسرع !

ودخل ابن بنب الشرفة فوجد االأمير أونش فى جهة وباك ان آمون وابن إبانا فى جهة أخرى فانضم إليهما ، وجلس الجميع صامتين وكأن على رءوسهم الطير ، وكان صوت الموسيقى يصل إليهم خفيفا كحفيف الشجر .

وفتح باب الشرفة الموصل ، ودخل الأمير أحمس فقاموا له فحياهم وجلس بجوار الأمير أونش ، ثم قال :

ـ لقد وصلت جنود النجاشى إلى طيبة فاتصلت بجميع الأمراء وطلبت منهم إمدادنا بالجنود لتحرير الوطن ، فوافق جميعهم على ذلك ، وقد اجتمعنا الآن لتنظيم الحملة .

فقال ابن بنب : هل يسمح لى مولاى أن أسال عن شىء ؟

ـ ماذا يا بن بنب ؟

فقال ابن بنب : هل وافق الأمير أونش على إرسال جنوده ؟

فالتفت الأمير أحمس إلى الأمير أونش ، وكان قد أطرق هنيهة يجمع فيها رأيه ، وأخيرا رفع رأسه وقال :

ـ سبق أن أبديت رأيى فى هذه الحرب ، فإنى أرى أنه لا قبل لنا بقتال الهكسوس ، وأن جنودنا لا تستطيع أن تقف طويلا أمام جنودهم فهم أحسن منا عدة وأكثر عددا .

فقال ابن إبانا : لا يامولاى ، انقضى ذلك العهد وأصبحنا نحن أمهر منهم وأكفأ . أما عن العدد فهم يعدون بالألوف ونحن بالملايين .

فقال الأمير أونش : أنا لا أقصد عدد السكان ، بل أقصد عدد المقاتلين .

فقال ابن إبانا : إن كل مصرى ليعتبر جنديا فى جيش الخلاص . فالذين وراء الخطوط يمدون من فى الميدان بكل المساعدات التى تكفل النصر الأخير .

فقال الأمير أحمس : أنفهم من ذلك أن الأمير يرفض أرسال جنوده إلينا ؟

فقال الأمير أونش : لا يمكننى يا مولاى أن أدفع بجنودى إلى الهلاك ، ولا أن أزج بهم فى معارك لن يعود على مصر منها إلا الخيبة والحسرة .

فقال باك ان آمون : نحن واثقون من انتصارنا .

فقال الأمير أونش : بإعلانكم الحرب على الهكسوس ، وبإشراككم الأحباش معكم توطدون أقدامهم بمصر وتسوقونها إلى الدمار .

فقال ابن بنب : بل نقودها إلى الفخار .

وظهر الحنق فى وجه الأمير أحمس ، واندفع يقول للأمير أونش :

ـ ليست هذه المرة الأولى التى تترك فيها إخوانك وتفر من الميدان، فقد فررت أيام الأمير سكانن رع وتركته وحيدا . أتحسب أن تخليك هذا سيفت فى عضدنا أو يؤثر فينا ؟ ! . إنك إن تظن ذلك تكن واهما ، فقد تغيرت الأحوال وتبدلت الأوضاع وصار لنا جيش لن تستطيع جيوش الهكسوس أن تقف فى وجهه ... إنك تفر لأنك تكره أن ترانا منتصرين .. تفر لأنك لست مصريا وفيا لبلادك .

وشعر الأمير أونش كأن الأرض تميد تحت قدميه ، فنهض وقال :

ـ أيسمح لى مولاى بالانصراف ؟

فقال الأمير أحمس بخشونة : تفضل .

ولم يتحرك من مكانه ، وفتح الأمير أونش الباب وخرج .

وقال الأمير أحمس : كنت ناويا أن أسند إليه قيادة الجيش ، فشكرا لآمون على افتضاح أمره .

فقال باك ان آمون : إنه لا يستحق اهتمامكم يا مولاى .

وقال ابن إبانا : ان تخليه لن يؤثر فينا .

فقال الأمير أحمس : ما كنت أوثر أن ينشق أحدنا فى يوم عظيم كيومنا هذا ، بل كنت أرجو أن نقف جميعا كالبنبان المرصوص يشد بعضنا بعضا ، وأن نقوم قومه رجل واحد لتخليص البلاد من ذل الاستعباد .

فقال ابن بنب : من الخير أن نعرف أعداءنا فنحذرهم .

فقال الأمير أحمس : ستقود يا بن إبانا الأسطول ، وأنت يابن بنب ستقود الفرسان ، أما أنت يا باك ان آمون فستقود المشاة . وسيقوم كبار ضباط المعهد فى طيبة بتدريب المصريين الذين يتطوعون للحرب .

سيخرج الجيش من طيبة بعد غد فعليكم أن تعدوا أنفسكم للرحيل، إن الجنود الذين تحت إمرتكم هم خير أبناء الوطن ، فاعملوا على توفير أسباب الراحة لهم وابذلوا كل ما فى وسعكم لتخفيف آلامهم.

وإذا فتحتم مدينة فلا تعيثوا فيها فسادا ولا تخربوا عامرها ولاتتلفوا حرثها ، فهى ملك لإخوانكم . ولا تنتقلوا من مدينة لأخرى إلا بعد أن تطهروها من أعدائكم حتى لا يكونوا شوكة فى عنقكم . أو

يقطعوا الطريق عليكم فلا يصلكم مدد ، وسأبقى بطيبة إلى أن ينتهى تدريب الجنود الجدد فنلحق بكم قبل وصولكم إلى أواريس .

وكلما دخلتم مدينة من المدن التى يحكمها القذرون فاهدموا معابدهم وامحوا أثارهم ، لنمحو آثار الذل والهوان اللذين رسفنا فيهما زهاء قرنين من الزمان ، ولا يغرنكم انتصار ولا يفتن فى عضدكم هزيمة ، ولا تدعوا لليأس سبيلا إلى أنفسكم .

وإذا اقتضى الأمر تضحية فابذلوها ، ولا تضنوا بأرواحكم فلستم مخلدين فى الأرض ، أما مصر فخالدة إلى أبد الآبدين .

واعلموا أننا إذا انتصرنا في هذه الحرب عاشت مصر عزيزة الجانب موفورة الكرامة ، وإذا انكسرنا ضرب عليها الذل والمسكنة إلى يوم نقف بين يدى أوزوريس .

وأنفتح باب الشرفة ودخلت الأميرة الحبشية ، فنهضوا لتحيتها ، ثم اتجهوا جميعا إلى بهو الاجتماع .

وجلس الأمير أحمس والأميرة يحف بهما الأمراء ورجال الدولة والضباط . واستمرت الموسيقا تعزف إلى أن حان وقت العشاء فنهضوا إلى غرفة الطعام .

ودخل خادم يحمل طستا وآخر يحمل إبريقا واتجها إلى الأمير أحمس فغسل يديه ، ثم غسل جميع الموجودين أيديهم وأطلق البخور فى الغرفة .

ومدت أكبر الموجودات سنا يدها وقطعت لحم البط الموضوع على المائدة وتبعها المدعوون .

وكانت أوانى النبيذ والجعة من ذهب وفضة موضوعة على حوامل من خشب حولها أكاليل الأزهار ..

ولما انتهى القوم من تناول طعامهم دخل حامل الطست وحامل الإبريق فغسلوا أيديهم ، وعادوا إلى بهو الاجتماع ، واستأنفت الموسيقا العزف فنهضت ثلاث راقصات شبه عاريات وأخذن يتمايلن فى رشاقة ، وينثنين فى دلال ، ويرقصن رقصة سنابل القمح ، ولعبت الخمر برءوس القوم فارتفع صياحهم وعلا ضجيجهم ، فتناول ابن بنب يد الأميرة واتجها إلى الحديقة .

وكانت الحديقة فى أزهى حلة فالأزهار متفتحة ، والأشجار مورقة مثمرة ، فملأ ابن بنب رئتيه بالهواء وتلفت حوله فراعه جمال الطبيعة ، ثم نظر إلى الأميرة فرأى أشعة القمر على وجهها تزيدها حسنا على حسن .

ـ إنك رائعة اليوم يا مولاتى .

وبلغا بحيرة القصر فوجدا قاربا عند حافتها ، فقفز ابن بنب ومد يده للأمير ، ثم جلسا أحدهما إلى جانب الآخر ، وتركا القارب للريح تلاعبه وتداعبه ، وأسندت الأميرة رأسها على كتف ابن بنب ، وشعر بغدائر شعرها تنوس على وجهه فانتشى بعطرها وسبح فى بحر من الأحلام .

وطال بهما الصمت ، فرفعت عينيها إليه وغمغمت :

ـ أحمس .. فيم سكوتك ؟

ـ كنت أحلم .

ـ تحلم بم ؟

ـ بحلم ما أظنه يتحقق .

ـ من يدرى ؟ .. فقد يتحقق .

ـ كنت أحلم أنى طلبت الزواج ممن أحبها .

فأطرقت الأميرة سشن هنيهة .

فقال ابن بنب :

ـ أترين ؟ .. إنه حلم لا يتحقق .

فقالت الأميرة سشن كالحالمة .

ـ ولم تظنه لا يتحقق ؟

ـ لأنها أرفع منى درجات .

ـ وهل يعرف الحب هذه الدرجات ؟ إن شمسها فى أفول ، بينما شمسك فى شروق . إن لها الماضى ولك المستقبل .

ـ أترين أنها توافق ؟

ـ أى مانع يمنعها ما دامت تحبك ؟

فهز ابن بنب القارب فرحا كالأطفال وهتف :

ـ إنى أسعد مخلوق فى الوجود .

وضمها إلى صدره وغابا فى قبلة طويلة .

ثم تناول المجداف فقالت له الأميرة :

ـ إلى أين ؟

ـ إلى القصر لأبلغ النبأ كل من فيه .

ـ دع هذا المجداف ، أمللت عشرتى سريعا ؟

ـ بل أريد أن أطير لأزف البشرى للجميع .

ـ أتحفظ نصائح بتاح حتب للزوج ؟

ـ عن ظهر قلب ، وأخذ يتلوها : « إن كنت عاقلا دبر منزلك ، وأحب زوجتك شريكتك فى السراء والضراء ، وقدم لها ما تحتاج إليه من طعام وملبس ، واشتر لها العطور ، وأدخل عليها السرور ، ولا تكن شديدا معها فباللين تملك قلبها ، وأد مطالبها الحقة ليدوم معها صفاؤك ويستمر هناؤك .

فابتسمت الأميرة سشن وقالت :

ـ ستكون زوجا طيبا .

وتناول ابن بنب المجداف وراح يجدف حتى بلغ حافة البحيرة ، فقفز إلى الشاطىء وتناول يد الأميرة وراحا يهرولان نحو القصر ، فقابلهما السيد إيب عند باب البهو ، ولمح البشر يعلو محياهما فابتسم ، ولم يدع له ابن بنب فرصة للكلام فقال :

ـ لقد أصبحت أسيرها إلى الأبد .. اتفقنا على ذلك .

ـ باركما آمون .. ينبغى ألا يعلمن بقراركما أحد قبل الأمير أحمس ، فتكتما الأمر حتى أعلمه إياه .

واتجه إيب إلى مولاه وأنبأه الخبر ، فمال هذا على زوجه وأسره إليها ، ثم وقف فسكتت الموسيقا ، وأصغى الجميع إليه قال :

ـ أزف إليكم بشرى سعيدة انشرح لها صدرى ، فقد اتفق قائد فرسانى أحمس بن بنب والأميرة سشن على الزواج ، وإنى أبارك زواجهما ، وأضرع إلى آمون العظيم أن يباركهما ويلبسهما حلل السعادة

والهناءة .

فأقبل الجميع على ابن بنب والأميرة يهنئونهما ، وصدحت الموسيقا . ثم رفع الأمير يده فهدأت الضوضاء وخيم على المكان سكون رهيب ، قال:

ـ من نحو قرنين من الزمان انتهز الهكسوس فرصة تناحر ملوك مصر وتنافسهم على العرش ، فانقضوا على البلاد بخيلهم ورجلهم فاحتلوها وعاثوا فيها فسادا ، فحرقوا المدن وخربوا المعابد ، وقتلوا الرجال وسبوا النساء والأطفال . وعلى مر السنين علموا أنه لا يمكن حكومة أن تستمر ما لم يرض الشعب عنها ، فادعوا أنهم فراعين من نسل الإله رع ، وما كان هذا الادعاء ليجوز علينا إذ كيف يصبح الأجنبى مصريا وكيف يصير العبد إلها .

وفرضوا الضرائب فازدادت الحالة سوءا ، وجبوها بالقوة فاغتصبوا اللقمة من فم الفلاح ، فبات فى ضنك شديد وبؤس مقيم .

ولما رأى أسلافنا العظام ذلك ثاروا فى وجه المغتصب وحرروا الجنوب، ورفضوا دفع الضرائب لفرعون المزيف وبذلك استعاد الجنوب حريته ، وظل الشمال يرسف فى سلاسل الذل والرق والعبودية .

إخواننا فى الشمال يقاسون ذل الاستعباد ويئنون من عبء الاحتلال الثقيل ، فالظلم جاثم فوقهم ، والعذاب مسلط عليهم ، والضرائب تجبى منهم ، وما ينتجونه بعرق الجبين يسلبه المغتصبون فيحرمونهم خيرات أرضهم ونتاج أنعامهم ، ومن يجأر منهم بالشكوى يسومونه العذاب وينكلوا به أشد تنكيل .

الشمال منا كالرأس من الجسد ، فكيف يهنأ الجسد بالراحة اذا كان الرأس معتلا ؟

قد طفح الكيل وزادت مظالم القوم ، وآن الأوان لنضرب ضربتنا ونخلص البلاد منهم ونطردهم منها مدحورين مهزومين .

إن جيش الخلاص على أتم استعداد للعمل على تحرير البلاد وسيعلم المغتصبون أى منقلب ينقلبون .

فنحن نعلن الحرب على الهكسوس ، وليباركنا آمون وليؤيدنا بنصر من عنده ولتعش مصر عزيزة الجانب موفورة الكرامة .

ولم يكد الأمير أحمس يفرغ من كلمته ، حتى هتف الحاضرون بسقوط الهكسوس ، ووجوب تطهير البلاد منهم .

ونظرت الأميرة سشن إلى ابن بنب نظرة زائغة وجلة ، وشعرت بانقباض و بموجة من الحزن تغمرها ، فمدت يدها وضغطت على يده ، فالتفت إليها فألفى الدمع يترقرق فى مآقيها ، فحول عينيه عنها وراح ينظر إلى الأمير أحمس .

وابتدأ المدعوون ينصرفون وخفتت الأصوات ، وقالت الأميرة سشن لابن بنب وهى تودعه :

ـ أهكذا لا نكاد نلتقى حتى يكتب علينا أن نفترق ؟

فضغط على يدها وقال : إلى الملتقى غدا .

وانصرفت الأميرة ، ولم يبق بالبهو سوى الأمير أحمس وزوجته وابن إبانا وابن بنب وباك ان آمون ، فالتفت إليهم الأمير وقال :

ـ يمكنكم أن تذهبوا الآن لتجهزوا أنفسكم وسأقابلكم غدا مساء

قبل الرحيل .

فانحنوا بالتحية وانصرفوا .

٩

الرحيل

عادت الأميرة سشن إلى قصرها وكانت كسيفة البال مبلبلة الخاطر ، فدخلت مخدعها وحاولت النوم ولكن لم يغمض لها جفن تلك الليلة ، بل باتت تتقلب فى فراشها تفكر فى ابن بنب ورحيله فتنتابها الهواجس ويؤرقها الوجد ، ولما بدا نور الصباح دخلت نفرت مخدع مولاتها فألفتها تبكى ، فأخذتها بين ذراعيها وقالت لها :

ـ علام هذا البكاء ؟

ـ أعلنت الحرب وسيسافر غدا .

ـ وماذا فى ذلك يامولاتى ؟ لقد أعلنت الحرب قبل اليوم مرات وكنا نتلقى نبأ إعلانها فرحين لقرب الخلاص . إنى أذكر أننا أقمنا الأفراح بالقصر يوم أعلنها مولاتى كاموس .

ـ إنه الفراق .

ـ سيغيب بعض سنين ويعود إليك .

ـ بضع سنين يانفرت ؟ زدت الفؤاد على علاته وصبا .

ـ ينبغى ألاتبكى أمامه يامولاتى .

ـ أخشى أن يغلبنى البكاء .

ـ اكتمي البكاء وابتسمي له وشجعيه . فإن صورتك ساعة الوداع ستنطبع فى مخيلته .

ـ أخشى أن تخذلنى قواى .

ـ أتذكرين يامولاتى تلك الليالى التى كنا نضرع فيها إلى آمون ليشعل نار الحرب لننتقم من الهكسوس قاتلى مولاى سكنن رع ؟ لقد استجاب آمون لدعائنا فوجب علينا شكره . كنت تقولين : إن يوم الانتقام سيكون أسعد أيام حياتك ..

ـ تعالى يانفرت نضرع إليه ليعيده سالما .

وركعت الأميرة سشن ونفرت أمام تمثال آمون ، وراحتا تدعوانه فى خشوع ، وتلتمسان منه أوبة ابن بنب منتصرا .

ودخلت خادم وقالت :

ـ إن سيدى أحمس بن بنب ينتظر تشريف مولاتى .

فقالت نفرت وهى تضحك : لقد استجاب آمون لدعائنا فعاد سيدى سالما .

فابتسمت الأميرة وقالت لنفرت : دائما تمزحين .

وجلست الأميرة بجوار ابن بنب وراحا يتحادثان ، وأخذ يشرح لها ما سيقاسيه من ألم الفراق وهى تستمع إليه ، وهمت أكثر من مرة أن تبثه لواعج نفسها وطول ليلها ومجافاة النوم لعينيها ، ولكنها كبحت جماح نفسها .

ومر الوقت سريعا ، فنهض ابن بنب ثم ضمها إلى صدره وقال :

ـ وداعا .

فشعرت كأن قدميها لاتقويان على حملها ، ولكنها تجلدت وابتسمت ابتسامة اغتصبتها اغتصابا ، وقالت وفى الفؤاد ضريم نار :

ـ وداعا ، وفى حفظ الإله .

وسار ابن بنب ولم يلتفت خلفه ، وخنقت العبرات الأميرة سشن ومادت الأرض تحت قدميها فسقطت مغشيا عليها ، فأسرعت إليها نفرت وأخذت تدلك يديها وترش الماء على وجهها حتى فتحت عينيها فقالت لها :

ـ ترفقى بنفسك يامولاتى .

ـ ذهب ، وذهب قلبى معه .

وأجهشت بالبكاء ، فقالت لها نفرت :

ـ لم البكاء الآن ؟

ـ لقد ذهب كما ذهب أبى من قبل وأخشى ألا يعود .

ـ سيعود منتصرا .

ـ ياليت .

ـ وترفرف السعادة والهناء فوقكما .

ـ أخشى أن يكون هذا برقا خلبا يلمع فى عرض الغمام .

* * *

خرج ابن بنب إلى الطريق فوجد طيبة تموج بالجنود وكان الأحباش يروحون ويغدون فى شوارعها وأسواقها ، فاتجه إلى القصر وركب عربته ، وسار إلى معهد أبناء مصر الحربيين ولمح بالقرب من النيل المراكب الحربية يحمل إليها الجنود مؤنهم وحاجاتهم ، وابن إبانا على ظهر

مركب يصدر أوامره ، فاتجه إليه فصاح ابن إبانا قائلا :

ـ ماذا جاء بك الآن ؟

ـ رأيت أسطولك فجئت أشاهد مايجرى به .

ـ هل ودعت الأميرة ؟

ـ أنا قادم من عندها الآن .

ثم قال وهو ينصرف :

ـ تعال إلى القصر عصرا نتسامر قبل أن نقابل الأمير ، وإذا قابلت باك ان آمون فبلغه ذلك .

ـ سأفعل .

ووصل ابن بنب إلى معهد أبناء مصر الحربيين فألفى زملاءه يستعدون للرحيل ، فقال لهم :

ـ سننضم إلى فرسان الأمير ونبدأ أول عمل لنا ، فأرجو أن يكون عملا مشرفا .

وبقى معهم إلى أن ارتفعت الشمس فى كبد السماء فعاد إلى القصر .

وقبل العصر خرج إلى الحديقة ، وأقبل ابن إبانا فسأله ابن بنب :

ـ هل قابلت باك ان آمون ؟

ـ أجل ، وسيحضر .

ـ أرجو أن نرحل سريعا ، لأنى إذا بقيت بلا عمل أدركنى الفتور، فقد أصبحت لا أرى شيئا ألذ من خيالها الزائر .

وأقبل باك ان آمون وانضم إليهما ، وفيما هم يتحدثون دخل

الحديقة شاب رث الثياب طويل الشعر كث اللحية ، يتبعه آخر ، وكان الأول يسير بخطا متئدة أما الثانى فكان يتلفت حوله فى حيرة . قال ابن بنب :

ـ من هذان ؟

فنظر ابن إبانا وباك ان آمون إلى القادمين ، وتفرسا فيهما مليا ، وفجأة هب باك ان آمون وجرى نحوهما وهو يهتف :

ـ ديدى ! .. ديدى !

وضم باك ان آمون ديدى إلى صدره وترقرقت دموع الفرح فى عينيه وتمتم : شكرا للسماء ؟

وأسرع ابن إبانا واحتضن ديدى ، ووقف ابن بنب يطيل النظر إليه. قال باك ان آمون وهو يشير إلى ابن بنب :

ـ هذا أحمس بن بنب قائد فرسان مولاى الأمير .

وعرف ديدى أصدقاء بورنامون الصديق الجديد ، ورفيق الطريق .

وقال باك ان آمون :

ـ لقد كان مولاى قلقا عليك .. كيف فررت ؟

ـ بفضل هورداديف .

وقال ابن بنب : تعالوا إلى حجرتى ليغير ديدى ملابسه ويحلق شعره ولحيته قبل أن يقابل الأمير .

وسار الجميع فى ردهات القصر ، ولمح خادم بالقصر يعمل لحساب الأمير أونش ديدى فتبعهم ، ولما رآهم أغلقوا الباب خلفهم وقف يسترق السمع ، فسمع باك ان آمون يقول :

ـ كيف تمكن هورداديف من فك أسرك ؟

فقال ديدى : يرجع الفضل فى فرارى إلى الأمير أونش .

فقال ابن إبانا : كيف ؟

فقال ديدى : أرسل الأمير أونش رسالة إلى فرعون أنبأه فيها أنى جاسوس أعمل لحساب الأمير أحمس ، فأخرجونى من السجن ليعذبونى، فخطفنى أعوان هورداديف أمام عينى الملك .

فقال ابن إبانا : يا للخائن أونش !

وقال ابن بنب : قد قلت لكم ذلك .

وقال باك ان آمون : لابد من مقابلة الأمير حالا .

وسمع الخادم الواقف خلف الباب ذلك فأسرع وترك القصر ، واتجه إلى قصر الأمير أونش ودخل حجرته فابتدره :

ـ ما بك ؟

ـ عاد ديدى .

فانتفض الأمير أونش واقفا وقال :

ـ وماذا ؟

ـ وقال لابن بنب وابن إبانا وباك ان آمون : إنك أرسلت لفرعون رسالة .

فأسرع الأمير أونش وركب عربة ، وخرج بها من القصر قاصدا الشمال.

* * *

طلب ابن بنب من إيب مقابلة الأميرحالا .

فسأله : لم ؟

ـ عاد ديدى .

ـ عاد ديدى ؟ ! ياللبشرى .

وأسرع إيب وبلغ مولاه ، ومثل جميعهم بين يدى الأميرأحمس ، قال :

ـ شكرا للإله العظيم على نجاتك ... إن عودتك يوم إعلان الحرب على المغتصبين لهى البشرى من السماء بالنصر .

فقال ديدى :وشكرا لهورداديف يامولاى .

فقال ابن بنب : وشكرا للأمير أونش أيضا .

فقال الأمير أحمس : وماذا فعل الأمير أونش ؟

فقال باك ان آمون : أرسل الأمير أونش رسولا إلى فرعون ، وأرسل معه رسالة أنبأه فيها أن ديدى جاسوس لمولاى ، وأن مولاى يستعد لإعلان الحرب عليه .

وأضاف ابن بنب : وقد أطلق سراح عبده الأسود مقابل قتله لمولاى.

فقال الأمير أحمس : ويل لك يا أونش .

والتفت إلى إيب وقال :

ـ أرسل فصيلة من الجنود لإحضار ذلك الكلب .

وأخذ يذرع الغرفة كليث ثائر ثم قال :

ـ ياللخائن ! . سأقتله .

وأخذ ديدى يروى له كيفية خلاصه ، وقص عليه ابن بنب كيف

كشف أن أونش هو الذى حرض العبد الأسود عل اغتياله .

ثم دخل إيب وقال : عاد الجنود يا مولاى ومعهم أحد أتباع الأمير أونش .

فقال الأمير : وأين أونش ؟

فقال إيب : يقولون إنه خرج يامولاى .

ـ خرج ؟ إلى أين .

ـ لا أدرى يا مولاى .

ـ أحضر الرجل هنا .

فدخل الجنود وبينهم الرجل الذى أحضروه من قصر الأمير أونش ، وتقدم ضابطهم فسأله الأمير :

ـ أين أونش ؟

ـ فتشنا القصر يا مولاى ، ولما لم نعثر عليه استجوبنا هذا الرجل فأخبرنا أنه خرج بعربته .

فسأله الأميرأحمس . أين الأمير أونش ؟ قل !

فقال الرجل وهو يرتجف :

ـ جاء أحد خدمكم يامولاى إلى القصر وكان يلهث من شدة التعب ، ثم وجدنا الأمير يركب عربة وينطلق بها مسرعا .

فقال الأمير أحمس : أحد خدمى ؟ أفى قصرى جواسيس ...

فقال ابن بنب : لم نتكلم عن الأمير أونش إلا فى حجرتى ، ولا يمكن أن يستمع لحديثنا إلاذلك الخادم ، الذى يعمل فى ذلك الممر .

فأمر الأمير بإحضاره فجىء به ، ولمالمحه تابع الأمير أونش قال :

إنه هو يا مولاى .

فسأله الأميرأحمس :

ـ لم ذهبت إلى قصر الأمير أونش ؟

فجثا الخادم على ركبتيه وقال :

ـ اغفر لى يامولاى ، واعف عنى .

ـ لقد مكنت الخائن من الفرار ، ولن يكون جزاؤك إلا الموت .

وأشار للجنود وقال لهم : خذوا هذا المجرم !

فقبضوا عليه وخرجوا به ، قال الأمير أحمس :

ـ أيتركنا أونش لينضم لأعداء البلاد ؟

فقال ابن إبانا : إنه الحسد أعمى بصيرته .

فقال الأمير أحمس : من يعثر على الأمير أونش فليقتله .

فقال ديدى : لى رجاء يامولاى .

ـ ماذا ياديدى ؟

ـ أن تسمح لى بالرحيل مع الجيش غدا .

ـ انتظر إلى أن تستجم ، وسترحل معى يوم نلحق بهم .

وقال وينامون : أيأذن لى مولاى بالرحيل ؟

ـ انتظر أنت أيضا ، فقد نحتاج إليك .

وانصرف جميعهم ، واتجه الأمير أحمس إلى حجرته الخاصة ، وأخرج بعض الأوراق وراح يدرسها باهتمام ، فدخلت الأميرة زوجه وقالت :

ـ ألا تستريح ؟

فقال : انقضى عهد الراحة .

فتسللت الأميرة وتركته بين أوراقه ، وأغلقت الباب خلفها بهدوء واتجهت إلى مخدعها .

* * *

أصبح الصباح وقدم إلى القصر ضباط معهد أبناء مصر الحربيين والأمراء وكبار رجال الدولة ، ووقفوا خلف الأمير أحمس وزوجه فى الشرفة التى تطل على الطريق ، وكان الشعب يتجمع على جانبى الطريق ينتظر مرور جيش الخلاص ، فلما لمح الجماهير الأميرهتفوا له وأخذوا يلوحون له بأيديهم . وهو ينحنى لهم انحناءة خفيفة يرد بها تحيتهم .

وخرجت الأميرة سشن ونفرت إلى الطريق واندستا بين الجماهير ، ووقف ديدى ووينامون أمام القصر .

وارتفعت أصوات الطبول والأبواق فسكنت الجماهير والتفت الناس إلى مصدر الصوت ، فظهرت فرقة الجيش الموسيقية ومرت من تحت الشرفة ، ثم تبعها الفرسان وكانوا يسيرون فى صفوف منظمة بديعة وعلى رأسهم ابن بنب بقوامه البديع ، فعلا هتاف الجماهير لجيش الخلاص ، ومر الفرسان تحت الشرفة وحيوا الأمير وساروا فى طريقهم .

ورأت الأميرة سشن ابن بنب وأخذت تلوح له ولكنه لم يرها ، واستمر قلبها ينبض كالجناح الخافق ، و راحت تهتف : أحمس ... أحمس.

ولكن صوتها اختفى بين أصوات الجماهير التى كانت تجأر بالهتاف.

وسارت الأميرة سشن فى محاذاة عربة ابن بنب وراحت تشق جموع الواقفين ، وتبعتها نفرت ، وأخيراجذبتها إليها وقالت لها :

ـ إلى أين يامولاتى ؟

فتمتمت : أحمس ... أحمس .

وسار خلف الفرسان مشاة الصف ، وتبعهم المشاة الخفاف ، والرماة، ثم الجنود الأحباش ، وكان صياح الجماهير يشق عنان السماء.

وخفت صوت الطبول والأبواق ، واختفت فرقة الفرسان عن الأنظار ، فارتمت الأميرة سشن على صدر نفرت وأجهشت بالبكاء .

وخرج الجيش من طيبة واختفى فى الأفق ، خرج ليسطر صفحة من نور فى تاريخ مصر .

١٠

الأسير

مرت الجيوش المصرية فى أقاليم مصر الجنوبية المستقلة ، فخرج السكان لملاقاتها والحفاوة بها ، وأخذت الجماهير تهتف لجيش الخلاص على جانبى الطريق ، وكلما مرت الجيوش بإقليم انضم جيشه إليها حتى أصبح خميسا لجبا ، واستمرت الجيوش فى زحفها حتى بلغت الحد الفاصل بين الجنوب والشمال ، بين مصر الحرة ومصر الذليلة ، مصر المستقلة ومصر المستعبدة ، فعسكروا هناك ، ثم خرج بعض الجنود للصيد وعادوا يحملون غزلانا كثيرة أوقدوا النار تحتها .

ولما انتهى الجنود من تناول طعامهم انتشروا فى حلقات وراحوا يتسامرون ويضحكون وارتفعت أصواتهم بأناشيد عذبة مجدوا فيها مصر ومن يموت فى سبيلها .

وأدبر النهار وأقبل الليل ودخل ابن بنب خيمته ، ووافاه باك ان آمون فيها .

سأل ابن بنب : هل أرسلت رسولا لابن إبانا ؟

ـ أجل ، وسيوافينا الليلة .

ـ سنبدأ غدا أول هجوم لنا فعلينا أن نضع خطة محكمة ، حتى نزف إلى الأمير بشرى أول انتصار لنا .

ـ لو انتصرنا عليهم غدا لدخل المصريون فى جيش الخلاص أفواجا .

وفتح باب الخيمة ودخل ابن إبانا .

قال ابن بنب : دعوناك الليلة لنضع خطة نتعاون فى إنفاذها .

قال ابن إبانا : كيف نضع خطة ونحن لا نعرف مراكز العدو بعد ؟

قال باك ان آمون : سنبعث أحد جواسيسنا ليكشف خطوط الأعداء.

قال ابن بنب : أرى أن يذهب واحد منا .

ثم أردف : سآخذ جوادا وأذهب بنفسى ، فانتظرانى حتى أعود .

* * *

وامتطى جوادا وخرج من معسكر المصريين بعد أن فاه بكلمة السر للحراس ، وراح يخبط فى ظلام دامس حتى لمح نارا عن بعد ، فترجل عن جواده وربطه فى شجرة قريبة ، وأخذ يحبو على يديه ورجليه حتى بلغ معسكر الهكسوس فأخذ يحوم حوله ويمتحن نواحيه حتى علم مايريد أن يعلمه ، ثم عاد إلى جواده فامتطاه وانطلق عائدا إلى معسكره .

ودخل الخيمة فوجد صديقيه ممددين ، فلما لمحاه نهضا وقال باك ان آمون : لقد تأخرت كثيرا .

وانتصف الليل وانتهى القواد الثلاثة من وضع خططهم ، فاتجه ابن

إبانا إلى النيل وركب سفينته وأمر المراكب الحربية بالإقلاع فأقلعت تحت جنح الظلام ، وكان معسكر الأعداء على ضفة النيل اليمنى ، فسار بأسطوله حتى تجاوز المعسكر وابتدأ ينزل جنوده إلى البر خلفهم .

وفى الصباح سار أحمس بن بنب بفرسانه ، وزحف بهم حتى أضحى عل مقربة من الأعداء ، وأخذ الجمعان يتراشقان بالسهام .

وانحرف باك ان آمون بمشاته صوب الشرق ، وقام بحركة التفاف حول جناح جيش الهكسوس الأيسر.

واستمر التراشق بالسهام بين الهكسوس وفرسان المصريين طول اليوم، وفى أثناء ذلك تمكنت جنود ابن إبانا من التقدم والالتفاف حول جناح الهكسوس الأيمن .

وتقهقر أحمس بن بنب وفرسانه أمام الأعداء الذين راحوايقتفون أثرهم ، واستمروا فى تقهقرهم أمام الهكسوس إلى أن أبعدهم عن مراكزهم . وفى أثناء ذلك التقى جيش ابن إبانا بجيش باك ان آمون خلف خطوط الهكسوس ، وأصبحت جيوشهم مطوقة من كل جانب .

وأشار ابن بنب لفرسانه بالهجوم ، فكروا عل أعدائهم وشددوا النكير عليهم واضطروهم للتقهقر ، فوجدوا أنفسهم محاطين بالمصريين من كل جانب ، فدب الذعر فى صفوفهم وساد بينهم الهرج والمرج ، ووقعت معركة عنيفة التحم فيها الجيشان ، فسقط كثير من الهكسوس فى الميدان صرعى ، وأسر منهم عدد كبير .

وانجلت المعركة عن انتصار المصريين فاستراح الجنود وأخذوا يضمدون جراحهم ، وفى الصباح دخلوا المدينة فقابلهم السكان بالتهليل

وانضموا إليهم ، والتفتوا إلى معابد المنهزمين فهدموها ، وإلى آثارهم فمحوها ، وفر الهكسوس الذين كانوا فى المدينة إلى الشمال .

واجتمع ابن بنب وباك ان آمون وابن إبانا ، وكتبوا إلى الأمير أحمس أول رسالة عن الحرب ، ذكروا بها عدد الأسرى الذين سيرحلون إلى طيبة، ثم سلموا الرسالة إلى فارس فانطلق بها المرحلة الأولى ، ثم سلمها إلى آخر فانطلق بها المرحلة الثانية ، ثم سلمها هذا إلى ثالث ، وهكذا حتى المرحلة الأخيرة ، فاتجه الفارس إلى قصر الأمير وسلمه الرسالة.



وكان الأمير والأميرة والأميرة سشن وديدى جالسين فى البهو ، فاستلم الأمير الرسالة وفضها فظهر البشر عل محياه ، ثم التفت إل زوجه وقال :

ـ وصلت الآن أنباء سارة من الميدان ، فقد هزمت جيوشنا جيوش القذرين هزيمة نكراء فى أول معركة ، وسيصل إلى طيبة أفواج من الأسرى .

وانتشرت أخبار الانتصار الأول فى طيبة انتشار البرق ، فأقبل الشبان إل قصر الأمير وهتفوا له ، فأطل عليهم من شرفة قصره فهللوا له وطلبوا الذهاب إلى ميدان القتال من فورهم .

وتطوع المصريون فى الجيش تطوعا وغصت بهم الثكنات ، وراح كبار الضباط يدربونهم على الأعمال الحربية من كر وفر ، واستعمال السهام والحراب والدروق والدروع .

ووصلت إلى طيبة أنباء الانتصارات تترى ، وعلم الجميع أن جيوش مصر المظفرة فى طريقها إلى أواريس عاصمة الهكسوس ، وحصنهم المنيع .

* * *

وأخيرا بلغت جيوش مصر أسوار أواريس المنيعة ، وراح الجيشان يتراميان بالسهام مدة ، وكان الهكسوس يتسلقون الأسوار ويقذفون المصريين بوابل من سهامهم ، أو يفتح باب المدينة بين الفينة والفينة وتخرج منه ثلة من الجنود تناوش المصريين وتضايقهم ، ثم تعود أدراجها ويقفل الباب خلفها .

واستمر الحال على ذلك مدة كبيرة ، وفى ذات يوم جمع ابن بنب فرسانه وقال لهم :

ـ إذا فتح باب المدينة ليخرج فرسانهم هجمنا عليهم وحلنا دون إغلاق الباب ، ليتمكن جيشنا من المرور .

ووقف الفرسان المصريون متأهبين للهجوم حتى فتح باب المدينة ، فانطلق ابن بنب وفرسانه نحو الباب ، والتقى الفرسان بالفرسان ، ودارت معركة حامية أمام الباب سقط فيها كثير من المصريين قتلى ، وتمكن ابن بنب من اقتحام الباب ولكنه أقفل دونه .

وراح يقاتل جنود الهكسوس الذين التفوا حوله قتال المستميت ، حتى وقع أسيرا فى أيديهم بعد أن جرحوه جرحا بليغا .

وكتب ابن إبانا وباك ان آمون رسالة إلى الأمير أحمس ، أعلماه فيها أن ابن بنب أخذ أسيرا ، وطلبا منه إسعافهم بالمدد ، وسلما الرسالة

للرسول .

جلست الأميرة سشن فى قصرها ، وكانت تفكر فى ابن بنب وانتصاراته فلم تشعر بتلك الراحة التى كانت تحسها كلما اختلت لتناجى طيفه ، وشعرت بضيق وأحست بحاجة إلى البكاء فانفجرت باكية ، فدخلت نفرت ولما رأت سيدتها تبكى قالت :

ـ مرت عليك ياسيدتى سنتان وأنت على هذه الحال .

ـ أحبه يانفرت حبا لو وزع على الناس لماتوا من شدة الحب .

ـ إن أخباره تصل إلينا دواما ، وهى تدعو إلى الغبطة والفخار .

ـ أحس أنه فى ضيق يانفرت .

ـ ومايدريك ؟

ـ قلبى يحدثنى .

ـ دعى الوساوس .

ـ هتف بى هاتف الآن أنه قتل .

وأجهشت بالبكاء وارتمت على صدر نفرت ، فأخذت هذه تطيب خاطرها وقالت لها :

ـ إنك فى حاجة إلى الراحة يا مولاتى ، فادخلى مخدعك .

ـ سأتجه إلى قصر الأمير أحمس الآن لعلى أجد أخبارا مطمئنة .

واتجهت إلى قصر الأمير أحمس ، ولماهمت بالدخول لمحت الرسول خارجا من عنده ، فأسرعت ودخلت عليه فوجدته ساهما مفكرا فانقبض صدرها ، ونظرت إلى زوجه فوجدتها مقطبة الجبين فزلزلت الأرض تحت قدميها ، فجرت نفسها حتى وصلت إلى مقعد بجانت الأمير وجلست

عليه . .

وصمت الجميع برهة إلى أن شقت الأميرة سشن غلالة الصمت فقالت بصوت مرتجف :

ـ هل من أخبار يامولاى ؟

فقال الأمير بصوت خافت : لم يصل الرسول بعد .

فأطرقت الأميرة سشن وقالت والعبرات تخنقها :

ـ لاتحاول يامولاى أن تخفى الحقيقة عنى .. إنى أعلم كل شيء .. فقد لمحت الرسول وهو ينصرف .

ولم تتمالك الأميرة نفسها فأجهشت بالبكاء وهمست :

ـ مات ..

فقالت الأميرة الحبشية : لايا سشن ، لم يمت ابن بنب ولكنه أسر .

ثم ربتت على ظهرها وقالت :

ـ تشجعى !

وقال الأمير : لقد أسر ديدي من قبل وتمكن من الفرار .وسأخرج بجيشى غدا وألحق بجيوشنا التى تحاصر أواريس وسأفك أسره .

ورفعت الأميرة سشن رأسها وقالت :

ـ ليسمح لى مولاى بالرحيل إلى أواريس .

ـ ومالذى تفعلينه هناك ، وكيف تدخلين ؟

ـ سأحاول .

ـ إننا فى زمن حرب ياسشن ، ولو افتضح أمرك لقتلوك .

ـ لو بقيت هنا لمت كمدا ، فألتمس من مولاى أن يأذن لى

بالرحيل.

فقالت الأميرة الحبشية : دعها ترحل يامولاى .

ـ أخاف أن يصيبها مكروه .

ـ يحفظها آمون .

فالتفت الأمير إلى الأميرة سشن وسألها : مع من ترحلين ؟

ـ سآخذ معى نفرت وبعض أمنائى .

ـ أفضل أن يرحل معك ديدى ووينامون ، فهما يعرفان أواريس جيدا .

فقالت زوجه : هذا أفضل .

وقال الأمير : إذا وصلتم إلى أواريس فاقصدوا هورداديف .

ـ سأفعل يا مولاى .

ـ استعدى فسترحلين غدا .

* * *

ودخل أحد الأمناء على ملك الهكسوس وقال له :

ـ وقع قائد فرسان المصريين أسيرا فى أيدينا .

فقال : ألقوه فى المعتقل الكبير .

والتفت الملك إلى الأمير أونش وسأله :

ـ من يكون قائد فرسان المصريين ؟

ـ ذلك الشاب الذى عثر عليه الأمير أحمس ، وهو الذى قتل العبد ونجاه من موت محقق .

ولما هم الأمير أونش بالانصراف قال :

ـ أيأذن لى مولاى بزيارة قائد فرسان المصريين فى معتقله ؟ فبينى وبينه حساب قديم أرغب فى تسويته .

ـ لك ذلك .

وفتح باب المعتقل ودخل الأمير أونش فألفى ابن بنب مقيدا فتقدم منه وانحنى أمامه ساخرا وقال :

ـ شرفنا الفارس المغوار على غير انتظار .

فقال ابن بنب فى ثبات : ولم يشرفنا الأمير الفار .

فقال الأمير أونش هازئا :

ـ أين الأمير أحمس الآن ليرى قائد فرسانه أسيرا .

ـ إن الأمير أحمس خلف هذه الأسوار وسيقتحمها قريبا .

ـ وصوله إلى القمر أقرب إليه من دخول أواريس .

ـ سيدخلها .

ـ أسيرا كما دخلتها أنت .

ـ بل منتصرا ، ويقتلك ككلب قذر .

فغضب الأمير أونش ولطم ابن بنب لطمة شديدة ، فنظر إليه ابن بنب فى ازدراء وقال له :

ـ عشت جبانا وستموت جبانا .. لولا هذه القيود فى يدى ما ترددت فى قتلك . ستقتل وحق آمون ، فقد أهدر الأمير أحمس دمك .

ـ من يكون الأمير أحمس حتى يهدر دمى ؟ .. ستهزمون وأحكم الجنوب وأسود .

١١

الفيضان

خرج الأمير أحمس بجيوشه من طيبة واتجه إلى أواريس لينضم إلى باك ان آمون وابن إبانا ، وليشترك معهما فى محاصرتها وتضييق الخناق عليها ، وركبت الأميرة سشن ونفرت وديدى وويناموون مركبا محملا بأنواع مختلفة من الملابس والأقمشة وأوعية من البرونز والنحاس ، وكان ديدى يتزين بزى التجار فالتفت إليه ويناموون وقال :

ـ لو رآك أحد لما شك فى أنك تاجر من تجار الشمال .

وراح البحارة يجدفون ، وكان الوقت إبان فيضان النيل فكان المركب يسير مع التيار الجارف يسابق الريح ..

والتفتت نفرت إلى مولاتها وقالت :

ـ إنى أسأل يا مولاتى كيف يفيض النيل ؟

ـ لما بكت أيزيس زوجها الإله أوزوريس سقطت دمعة من عينها فى النيل ففاض لساعته ، وفى نفس الميعاد من كل عام يأخذ النيل فى الازدياد .

ـ ولم بكت يامولاتى ؟

ـ إنها قصة طويلة يانفرت .

ـ أرجو أن تذكرى لى طرفا منها يا مولاتى نستعين به عل طول الطريق .

ـ كان المصريون يخبطون فى وهاد الفقر ، فنزل الإله أوزوريس ليخلصهم منه ، فحكم مصر وعلم أهلها الفلاحة والزراعة ، فسعد المصريون به ، وسن لهم قوانين تداولوها فيما بينهم أغنتهم عن حمل السلاح ، أصبحوا جميعا بنعمته إخوانا وعاشوا فى وفاق ووئام .

واستتب الأمن وتهذبت أخلاق المصريين ، ولما عمر وادى النيل وصلح حاله سعى أوزوريس لإصلاح سائر البلاد ، فتغلب على جميع شعوبها بالموسيقا ولين الكلام ، لا بالجيوش وقوة السلاح .

وكان للإله أوزوريس أخ شقى شرير يسمى ست ، رأى ما فعل أخوه ورأى محبة الشعب له وتبجيله إياه ، فحقد عليه وأضمر له السوء وحاول أن يغتاله مرات عديدة ، ولكنه في كل مرة كان يئوب بالفشل لأن إيزيس كانت تسهر على زوجها وتحرسه .

وفى ذات يوم تمكن ست واثنان وسبعون من أعوانه من قياس جسم أوزوريس فى غفلة من زوجه إيزيس ، وصنع صندوقا بديعا زينه بالجواهر والأحجار الكريمة ، وكان الصندوق لا يصلح لأحد سوى أوزوريس .

وفى أحد الأعياد أقام ست وليمة فاخرة دعا إليها أخاه ، وفى أثناء الوليمة أحضر الصندوق فأظهر الجميع إعجابهم به ، فقال ست : إنه

يهديه لم يدخل جسمه فيه .

فقام أعوان ست وحاولوا الدخول فى الصندوق ولكن دون جدوى ، وأخيرا قام أوزوريس ودخل الصندوق فأسرع المتآمرون وأغلقوه عليه بالرصاص ، وحملوه وألقوه فى النيل عند أشتوم الطينة .

وعلمت إيزيس زوج أوزوريس وشقيقته ماحل بزوجها ، فحزنت عليه حزناشديدا وأخذت تبحث عنه ، واستشارت الإله « تحوت » إله الحكمة والعلم ، فأشار إليها بالبحث عن الصندوق فى مستنقعات الدلتا.

فاتجهت إيزيس إلى الدلتا وصحبت معها سبع عقارب ، فضلت الطريق وكلت قدماها من المشى .

وتلفتت حولها فرأت منزلا فقصدته ، وطلبت من سيدة الدار أن تضيفها حتى تستريح فرفضت .

وجلست إيزيس علي باب الدار ، وأشارت لإحدى العقارب فتسللت من تحت الباب ولسعت طفل السيدة ، فصرخ من شدة الألم ، فأسرعت إليه إيزيس وعالجته حتى شفى ، فاستبقتها السيدة إلى أن استراحت .

وخرجت إيزيس تستأنف البحث عن الصندوق فى أطراف الدلتا ، وفى هذه الفترة أحست بآلام الوضع ، فبقيت إلى أن وضعت ابنها الإله حوريس ، وتركته فى رعاية إله الشمال .

وعلمت إيزيس أن الصندوق تجاذبته الأمواج حتى بلغ مدينة بيبلوس على الشواطىء الفينيقية ، ونما الصندوق على الشاطىء

فأضحى شجرة جميلة ، ولما مر بها ملك تلك البلاد راعه جمالها وأعجبه منظرها ، فأمر بقطع جذعها لتكون دعامة لأحد أبهاء قصره .

علمت إيزيس ذلك فاتجهت إلى بيبلوس ووقفت بباب قصر الملك ، وحدث فى أثناء ذلك أن خرجت ابنة الملك فاحتضنتها إيزيس وقبلتها ودللتها ثم عطرتها بعطر فاخر لا مثيل له فى فينيقية .

ولما دخلت الطفلة على أمها الملكة ، شمت عبير العطر فسألتها عن مصدره ، فأخبرتها أن سيدة بالباب عطرتها به .

فأرسلت الملكة فى طلب إيزيس وحدثتها ، فراعها حسنها وأدبها وعلمها ، فاتخذتها نديمة لها .

واستمرت إيزيس بقصر الملكة ، حتى وضعت الملكة غلاما فصارت إيزيس مرضعته ،وكانت لا تقدم للطفل ثديها بل كانت ترضعه أصابعها ، وفى ذات ليلة استيقظت إيزيس ووضعت النار على جسم الطفل ، ورأت الملكة ذلك لأنها لم تكن قد نامت فراعها ما رأت ، وفزعت ، وحسبت أن أيزيس أرادت حرقه ، ومما زاد فى دهشتها وعقد لسانها أنهاوجدت إيزيس نفسها تصير فراشة وتحوم حول الطفل ، ثم تعود سيرتها الأولى.

فأسرعت الملكة إلى إيزيس وسألتها عما فعلته ، فأنبأتها أنها ألهت الطفل وجعلته سرمديا ، ولما تحققت الملكة أن ابنها أصبح إلها أرادت أن تكافىء إيزيس على جميل صنعها ، فقالت لها : تمنى ما شئت ! فطلبت إيزيس جذع الشجرة ، فلبت الملكة طلبها .

وأخذت إيزيس الجذع وحملته برفق ، ولما بعدت عن القصر أخرجت منه الصندوق ووضعته فى مركب وأبحرت إلى مصر ، ولما بلغت مكانا

منعزلا خبأت الصندوق وراحت تبحث عن ابنها حوريس .

وخرج ست شقيق أوزوريس للصيد فى إحدى الليالى المقمرة ، فعثر بالصندوق وعرفه ، فأخرج جثة أخيه منه وقطعها أربعة عشر جزءا ، وألقى فى كل قسم من أقسام القطر الأربعة عشر جزءا من أجزاء أوزوريس .

ووجدت إيزيس ابنها حوريس ، وعادت لتأخذ الصندوق فلم تجده ، ووجدت جسم زوجها مقطعا فعلمت أن ست عثر بالصندوق فجزعت وعلت الكآبة وجهها ، واستعانت بنفتيس زوج ست ، وأنوبيس والإله تحوتى فى جمع أشلائه .

وركبت مركبا وراحت تجمع الأجزاء المبعثرة فى أنحاء القطر وكانت تبكى لما حل بزوجها ، فسقطت دمعة من عينها فى النيل

وكانت كلما عثرت بعضو من أعضاء زوجها وارته فى التراب ، ولما انتهت من جمع أعضائه جميعها ضمتها بعضها إلى بعض ، وأعادت إلى أوزوريس هيئته ، ثم استطاعت بقوة السحر أن تعيد إليه الحياة .

فقالت نفرت : وما الذى فعله أوزوريس بعد ذلك ؟

ــ رفض أن يعود لحكم هذا العالم ، وفضل أن يبقى فى العالم الآخر ، ونظرا لما قاساه وما لحقه من آلام اختارته سائر الآلهة ليكون قاضى الموتى فصار إله الأبدية ، وكون محكمته من اثنين وأربعين قاضيا يحاكمون أهل الدنيا بعد موتهم ، ويحاسبونهم ويزنون أعمالهم ، ويصدرون حكمهم لهم أو عليهم فإما إلى الجنة وإما إلى النار .

ــ وما الذى فعله ست ؟

ـ اشتد ساعد حوريس ابن إيزيس وأوزوريس ، وأراد أن يثأر لأبيه فكون جيشا جرارا قابل به جيش عمه ست ، ودارت بين الجيشين معارك رهيبة انتهت بانتصار حوريس ، وفقد ست إحدى عينيه فى المعركة ، وأصبح حوريس منقذ الإنسانية وحاكما على العالم وصار ست إله الشر .

فقالت نفرت : كأنما تتكرر هذه القصة اليوم ، فقد حقد الأمير أونش على مولاى سكنن رع ، وبذل كل ما فى وسعه لإزالته من طريقه، فنجح فى ذلك كما نجح ست فى إزالة أوزوريس ، ولكن مولاى أحمس قام كما قام حوريس ليثأر من أونش ، وسيهزمه كما هزم حوريس ست .

فقالت الأميرة سشن :

ـ إنها قصة النضال بين الخير والشر ، وستبقى وتتكرر حوادثها مادام البشر على هذه الأرض .. وقد فقد ست إحدى عينيه فى المعركة ، أما أونش فسيفقد حياته فيها .. فلن يتركه الأمير أحمس يعيث فى الأرض .

وأبحر المركب ليالى وأياما حتى لاح فى الأفق البعيد أسطول الأمير أحمس ، فقال ديدى :

ـ قربنا من أواريس

وراح الرجال يجدفون حتى أصبح المركب فى محاذاة الأسطول فأشار له جندى بالوقوف فتوقف عن السير ، وركب الجندى قاربا صغيرا واتجه إلى المركب ، ولما رأى ديدى والأميرة حياهما ، وسأل ديدى

عن أخبار طيبة فأنبأه هذا أن الأمير أحمس فى طريقه إلى أواريس لشد أزرهم .

وتجاوز المركب الأسطول ، وظهرت أسوار أواريس الضخمة العالية ، فأبدت الأميرة سشن جزعها وقالت : كيف يتمكن جنودنا من اقتحام هذه الأسوار . ؟

ـ إن رجالنا أصلب من هذه الأحجار ، فلا تجزعى يا مولاتى .

ووصل المركب إلى شمال أواريس فرسا عند الشاطىء ، وكان الليل يضرب أطنابه فقال وينامون : سنبيت هنا الليلة ونحاول دخول المدينة غدا .

فقال ديدى : من الخير أن ندخل المدينة ليلا .

ـ وكيف ندخل والأبواب موصدة ، وإذا اقتربنا منها يقبضون علينا ؟

ـ فلنحاول فإن استطعنا أن ندخل الليلة كان ذلك أفضل لنا ، وإن لم نستطع فسنبقى إلى غد ونصبح عرضة لسيل من الأسئلة .

وصعد ديدى إلى الشاطىء وسار فى ظلام دامس ، حتى بلغ باب المدينة الشمالى فألفاه مؤصدا ، فراح يرقبه مدة طويلة حتى دب اليأس إلى قلبه . وأخيرا أبصر شخصا يتجه إلى باب المدينة ، فقرب منه وأرهف سمعه جيدا فسمعه يهتف بكلمة السر ، فانفتح له الباب ، ودخل منه ثم أغلق دونه .

وعاد ديدى إلى المركب واصطحب الأميرة سشن ونفرت ووينامون ، واتجهوا إلى باب المدينة ، وهتف ديدى بكلمة السر فانفتح الباب ،

ودخلوا أواريس وأسرعوا إلى قصر الثورة .

بلغ الأمير أحمس وجيوشه أسوار أواريس ، واجتمع بابن إبانا وباك ان آمون ، فكان أول ما عمله أن أعاد جيوش النجاشى إلى بلادهم ، وحاصر أواريس ليمنع وصول المؤن إليها .

ونمى إليه أن مراكب للهكسوس أقبلت تحمل الأطعمة لهم ، وأنها تحاول اختراق نطاق الحصار ، فأمر ابن إبانا أن يعد الأسطول لملاقاتها .

ثم ركب الأمير وابن إبانا سفينة « ضوء منف » وتلاقى الأسطولان بمياه ترعة ياردكو ، فقصدت كل سفينة مصرية سفينة من سفن الأعداء واقتربت منها حتى تماستا ، ودارت معركة بالرماح فسقط فى الماء جنود كثيرون ، وقفز المصريون إلى مراكب الهكسوس ودار القتال فى داخلها .

وقفز ابن إبانا إلى المركب الذى به قائد الأسطول الهكسوسى واتجه إليه ، ودارت بينهما معركة رهيبة انتصر فيها ابن إبانا بعد أن قطع ذراع خصمه .

ثم تناول الذراع وعاد بها إلى حيث كان الأمير أحمس ، فألفاه يقبض على بلطته ويهاجم الأعداء فى بسالة ، فانضم إليه وراحا يطيحان برءوس الأعداء ويثخنانهم جراحا .

وتكشفت المعركة عن انتصار المصريين واستيلائهم على مراكب الهكسوس وماتحمل من المؤن .

وأنعم الأمير أحمس على ابن إبانا بوسام الشجاعة الذهبى مكافأة له على جرأته وشجاعته .

ودام حصار أواريس شهورا ولم يتمكن الأمير أحمس من اقتحام

أسوارها .

وفى أثناء ذلك أقبل من الجنوب رسول أبلغ الأمير أحمس أن ثورة شبت فى جنوب مدينة الكاب ، فاستاء لذلك وقال : أفى هذه الساعة العصيبة يتألب علينا أهلنا ؟

وأبحر وابن إبانا شطر الجنوب بعد أن أمر باك ان آمون أن يستمر فى حصار المدينة حتى يعود .

وبلغ الأسطول طيبة فمدينة الكاب ، فنزل الجنود فيها وزحفوا منها ليلاقوا الثوار .

ودارت معركة كبيرة انتصر فيها الأمير أحمس ، وعلم ابن إبانا أن قائد الثوار فر فى سفينة ، فركب مركبا من مراكب الأسطول وجد فى أثره .

ولما اقترب المركبان تطايرت السهام ، ثم تلاصقا فاستعملت الحراب ، وتسلق المصريون مركب الثوار ، وتمكن ابن إبانا من أسر قائدهم ونقله إلى مركبه ، وعبر به النيل إلى حيث كان الأمير أحمس .

وبذلك أخمد الأمير ثورة الجنوب ، وعرج على طيبة فى أثناء عودته فبات بها ثلاث ليالى ، ثم استأنف السفر إلى أواريس ، ولما بلغها وجد باك ان آمون لايزال يحاصرها .

١٢

الراقصة

دخل ديدى والأميرة سشن ونفرت وويناموں أواريس ، واتجهوا إلى قصر هورداديف وطرقوا بابه ففتح لهم ، فسار ويناموں أمامهم يدلهم على الطريق وقال : تفضلوا بالانتظار قليلا ، فسيكون سيدى هورداديف هنا بعد لحظة .

فضحك ديدى وقال :

ــ كأنك فى منزلك .

فقال ويناموں : إنه أكثر من منزلى .. إنه بيت جميع المصريين المخلصين فى الشمال ، وهو مفتوح لهم يطرقونه فى كل لحظة بالليل والنهار .

وغاب هنيهة ثم عاد ومعه هورداديف . والتفت هورداديف إلى ديدى وقال له :

ــ كيف تعود إلى أواريس ؟ ألا تخشى أن يقبضوا عليك ؟

فقالت نفرت : لقد اشتاق إلى سياط العبد الأسود .

فضحك الجميع ، وقالت الأميرة سشن : دائما تسخرين يا نفرت .

وأخذوا يتجاذبون أطراف الحديث ساعة إلى أن قال وينامون ان مولاتى فى حاجة إلى الراحة عقب هذه الرحلة الشاقة .

* * *

وفى الصباح الباكر أخذت الأميرة سشن تستعد للخروج ، ودخلت عليها نفرت فسألتها :

ـ إلى أين يا مولاتى ؟

ـ إلى العمل على تخليصه .

ـ مع من تخرجين ؟

ـ مع ديدى .

وتحركت الأميرة حتى وصلت إلى غرفة كبيرة جلس بها ديدى وهورداديف ، فلما لمحاها قاما لها ، وأشار هورداديف إلى كرسى قريب وقال :

ـ تفضلى يامولاتى .

فقالت الأميرة : سأخرج مع ديدى ونعود بعد قليل .

فقال هورداديف : لن تبرحا القصر نهارا .

ـ ولم ؟

ـ تعلمان أن الأمير أونش بأواريس ، فإن لمح أحدكما ساءت العاقبة.

فقال ديدى : هل كتب على أن أعيش أسيرا بأورايس ؟ !

ـ يمكنكما أن تخرجا تحت جنح الظلام .

فقالت الأميرة : هل جئنا لنحتجب بين أربعة جدران ؟

ـ إلى أن نخلص ابن بنب .

ـ وما الذى عزمت على فعله ؟

ـ سأكلف أحد أعوانى بمراقبة المعتقل .

ودعا هورداديف حرحور وكلفه بمراقبة المعتقل ليلا ، فبعد أسبوع عاد حرحور وقال :

ـ لقد راقبت المعتقل كما أمرتنى ، ففى ليلة السبت درت حوله وفحصت عنه فحصا دقيقا فلم أجد به منفذا لفأر ، فأسواره متينة وأبوابه ضخمة ، وظللت أرقب الباب طول الليل ، فلم يفتح ولم يخرج منه أحد ، وفى ليلة الأحد تربصت قريبا من المعتقل ، ففى أول الليل فتح الباب وخرج منه أحد الحراس ، فتبعته حتى بلغ حانة دخلها فدخلت خلفه ، وكانت الحانة تغص بخليط من العمال والفعلة ، وجعلت أرقب الرجل فرأيته يحتسى الخمر بشراهة ، وابتدأت فرقة الموسيقا تعزف ، ثم ظهرت راقصة رقصت رقصا خليعا فهلل لها العمال ، وأمطرها الحارس بعبارات الغزل والإطراء ، ولما انتهت من رقصها صفق لها كثيرا .

وراقبت المعتقل يومى الاثنين والثلاثاء فلم أجد إلا الهدوء الذى يسيطر على المكان ، وفى يوم الأربعاء فتح الباب وخرج منه الحارس عينه واتجه إلى الحانة ، فتعرفت به هناك ، ولم أزل به حتى علمت منه أنه يقوم بحراسة المعتقل طوال الأسبوع ما عدا ليلتى الأحد والأربعاء ، فإنه يمضيهما فى الحانة .

قال هورداديف : هذا الرجل وسيلتنا لتخليص ابن بنب .

وفى اليوم التالى اتجه هورداديف وديدى وحرحورإلى الحانة وانتحوا منها ناحية منعزلة ، ثم دخل الحارس فلفت حرحور نظرهما إليه ، فأخذوا يرقبونه فرأوه يغازل الراقصة ويتودد إليها .

فقال هورداديف : لم لا نستعين بهذه الراقصة ؟

فقال ديدى : وكيف ؟

ـ يمكننا أن ندفع لها قدرا من المال لقاء توددها للحارس ، وضرب موعد له فى المعتقل ، وموافاته هناك ، واحتساء الخمر معه حتى يغيب عن وعيه ، فنتمكن بذلك من فك أسر ابن بنب .

ـ فكرة بديعة .

فقال حرحور : أتظن أنها تفعل ؟ فقال هورداديف : إنها تقوم بأى عمل فى سبيل المال .

ثم أردف : وسأفاتحها فى الأمر الآن .

وقصد إلى حجرة الراقصة فغاب هنيهة ، ثم عاد فقال له ديدى :

ـ خيرا ؟

ـ أعطيتها دفعة على الحساب .

ـ أقبلت ؟

ـ أجل .

فقال حرحور : لابد من مراقبتها إلى أن يتم إنفاذ مؤامرتنا ، فإنها لو وشت بنا لهلكنا جميعا .

وعين حرحور خمسة من أعوانه لمراقبة الراقصة ، فكانوا يتجسسون عليها ليلا ونهارا ، وفى ذات يوم رأوها تخرج صبحا على غير عادتها

فتبعوها ، فوجدوها تتجه نحو القصر فقر قرارهم على خطفها ، فركب الأعوان الخمسة عربة وأسرعوا بها حتى لحقوا بالراقصة ، فقفز اثنان منهم وحملاها وألقيا بها فى العربة وانطلق الجميع إلى منزل حرحور .

* * *

دخل حرحور على هورداديف ، وأنبأه أن الراقصة حاولت أن تشى بهم وأنها سجينة فى منزله ، فقال له هورداديف : لا تطلق سراحها إلا بعد تخليص ابن بنب .

وجلس هورداديف يفكر فسنحت فكرة فى مخيلته فأخذ ينسقها ولما اقتنع بإمكان إنفاذها قصد إلى غرفة الأميرة سشن وطلب مقابلتها

قال هورداديف : لم يعد إلا طريقة واحدة لفك أسر ابن بنب وهى تحتاج لبعض التضحية من مولاتى .

ـ إنى على استعداد لبذل أيه تضحية فى سبيله .

ـ تعلمين يا مولاتى أننا اتفقنا مع إحدى الراقصات على التحايل على دخول المعتقل وفك أسر ابن بنب ، وقد عرفنا اليوم أنها كانت فى طريقها إلى قصر الملك لتفشى سرنا فقبضنا عليها ، ونحن الآن فى احتياج إلى راقصة أخرى تحل محلها وتقوم بالدور الذى كانت ستقوم به، ولما كان من المتعذر الحصول على راقصة يمكننا أن نطمئن إليها ونثق فيها ، لذلك أرى تقوم مولاتى بدور الراقصة .

فأطرقت الأميرة سشن فقال هورداديف :

ـ هذا ما يمكننا عمله لفك أسره ، وإنى أعلم أنه من القسوة أن يطلب منك القيام بعمل مثل هذا ، ولكن لابد من التضحية .

فرفعت الأميرة رأسها وقالت : أقبل .

فخرج هورداديف يرتب الأمر ، والتفتت نفرت إلى مولاتها وقالت : كيف تقبلين هذا ؟

ـ إنى أبذل كل شىء فى سبيله .

وقابل هورداديف صاحب الحانة وابتاعها منه بعدة خواتم ذهبية ، وعين فيها بعض أعوانه .

وفى يوم الأحد انتشر أعوان هورداديف فى الحانة ، وانتحى ديدى وحرحور وهورداديف ناحية منها ، وأقبل الحارس مثل عادته واحتل مقعده وطلب خمرا ، فقدمت إليه خمر فاخرة لم يذقها فى حياته ، ثم عزفت الموسيقى وابتدأت الأميرة سشن ترقص ، فحملق الحارس فيها وأخذ يتبعها بعينيه ويظهر إعجابه بها ، فمال هورداديف على ديدى وقال :

ـ ما كنت أحسبها تنجح إلى هذا الحد .

ـ لعلها كانت تهيىء نفسها لتكون من الكاهنات الراقصات فى المعابد .

واستمرت الراقصة ترقص ، والحارس يظهر إعجابه بها ، ولما انتهت من رقصها صفق لها الحاضرون وصفق الحارس طويلا .

فقال حرحور : لو كنت مكانه لوقعت ، من ذا يرى هذا الجمال ولا يسبى ؟

وقال هورداديف لديدى : عليك أن تجالسه يوم الأربعاء ، وتمهد الطريق لتعارفه بالأميرة قبل أن تفلت الفرصة من يدنا .

وفى يوم الأربعاء أقبل الحارس وجلس ديدى بجواره ، وابتدأت الأميرة ترقص . قال الحارس :

ـ إنها مدهشة ! لم أر راقصة أجمل منها .

فقال ديدى : ألا تعرفها ؟

ـ لم أرها من قبل ، إنها حديثة العهد بهذه الحانة .

ـ ولكنى أعرفها من سنين مذ كانت فى حانة « العجل » .

وصمت ديدى هنيهة وراح يتفرس فى وجه الحارس ، وأيقن أن كلماته تركت أثرها فيه فاستمر يقول : أتحب أن أعرفك بها ؟

ـ أكون لك شاكرا ولن أنسى لك فضلك .

فنهض ديدى وتبعه الحارس ودخلا غرفة الراقصة ، وهى غرفة ضيقة يضيئها نور خافت ، ولما رأت ديدى أظهرت سرورها بلقياه ، فقدم إليها صديقه وجلس الثلاثة يتسامرون ، ثم استأذن ديدى وقال إنه ذاهب ليرى أحد أصدقائه فى الحانة وسيعود سريعا .

وخرج ديدى ثم أغلق الباب خلفه ، ووقف قريبا منه يحرس الأميرة واستمرت الراقصة والحارس يتسامران ، إلى أن قال لها :

ـ أأستطيع مقابلتك غدا ؟

ـ متى ؟

ـ صباحا .

ـ لا أخرج بالنهار أبدا إذ أشرف على أعمال المنزل وأعد الطعام لأفراد أسرتى ، وهم كثيرون .

فأطرق السجان ، وصمتت الأميرة سشن قليلا ، وخشيت أن تفلت

الفرصة من يدها فأردفت :

ـ على أنى أستطيع أن أتمارض غدا وأعتذر لصاحب الحانة ، وأقابلك فى المساء .

ـ لا يمكننى مقابلتك ، إذ أقوم بالحراسة فى السجن طول الليل .

فقالت الأميرة : ما رأيك فى أن نمضى سهرتنا فى السجن ؟

فالتمعت عينا الحارس سرورا وقال :

ـ فكرة بديعة ، ما كانت تخطر لى على بال .

وفتح باب الغرفة ، ودخل ديدى واشترك فى الحديث .

وفى مساء اليوم التالى وصلت الأميرة سشن إلى سجن أواريس ، وطرقت بابه خفيفا فانفتح لها ، فدخلت منه ثم أغلق دونها ، وفى هذه اللحظة ظهر فى الميدان هورداديف وديدى وحرحور وراحوا يرقبون باب السجن باهتمام .

وسار الحارس أمام الراقصة وقال لها : لقد خشيت ألا تحضرى .

فقالت : انتظرت حتى يرخى الليل سدوله ، فهو آمن لنا .

وقادها إلى مقعد خشن بالطرقة ، ثم غاب وعاد يحمل إناء خمر وكأسين فملأهما ، وناول الراقصة كأسا وشرب الأخرى .

وتظاهرت الأميرة بالشرب ، وغافلته وأفرغت ما فى الكأس بجانب الجدار .

وأفرغ فى جوفه كأسا ثانية ، وثالثة ، ورابعة ، فلما رأت الخمر عملت فيه عملها مالت عليه وطوقت عنقه بذراعها وقالت : يبدو أنك لا تقوم بعمل هام ، فإنى لا أرى عندك مساجين كثيرين .

فانتفخت أوداجه وقال مفاخرا : من قال ذلك ؟

وراح يذكر لها أسماء المساجين ويشير إلى غرفهم ، ثم أشار إلى غرفة خلفه وقال : وفى هذه الغرفة قائد فرسان الأمير أحمس أخذ أسيرا تحت حراستى .

فتناولت الأميرة الإناء ، وأترعت الكأس ورفعتها إلى فمه فشربها حتى الثمالة . ولم تزل به تسقيه حتى ثقل رأسه ومال على صدره .

فهبت الأميرة واتجهت إلى سجن ابن بنب ففتحته ووقفت بمدخله ، فألفت الظلام رهيبا فهتفت بصوت خافت :

ــ أحمس ! .. أحمس ! ..

فسمعته يقول فى لهفة : من ؟

ــ سشن .

واتجهت إلى مصدر الصوت وتحسست موضع ابن بنب حتى اهتدت إليه فتمتمت :

ــ أحمس ! .. حبيبى أحمس !

فضمها إلى صدره بقوة ، وقال : سشن ؟ أفى يقظة أنا أم فى منام ؟

ثم عالجت قيوده حتى حلتها ، وجذبته من يده وسارا فى ممرات السجن المظلمة حتى بلغا الباب ، فخرجا منه فقابلهما ديدى وهورداديف وحوحور ، وأسرعوا جميعا بمغادرة المكان وقصدوا إلى قصر الثورة .

١٣
المبارزة

أمر هورداديف حرحور أن يجمع الأعوان وأن ينتظروا فى صباح اليوم التالى فى مكان حدده له ، وأن يكونوا على استعداد للقتال ، فاتصل حرحور بهم وأنفذ ما أمر به .

فلما كان الفجر اتجه هورداديف وابن بنب إلى مكان الميعاد ، فأشرفا على جيش عظيم على استعداد للنزال ، فالفرسان فى عرباتهم فى عدة الحرب والمشاة يحملون حرابهم وخناجرهم وسهامهم ، فالتفت ابن بنب وقال :

ـ إن لك جيشا عظيما يا هورداديف ، سنسحق به الهكسوس اليوم .

فقال هورداديف : لقد تم تدريبهم على قيد خطوات من معسكر الهكسوس .

ووصل هورداديف وابن بنب إلى حيث كان الجنود ، فقال هورداديف يخاطبهم : يسرنى أن أقدم لكم أحمس بن بنب قائد فرسان مولانا

الملك، وقد انضم إلينا وسيعمل معنا على تخليص أواريس من براثن المغتصبين .

وتكلم ابن بنب فقال :

ـــ رأى مولاى الأمير أحمس ما نحن فيه من ذل فى ظلال الهكسوس ، ورأى أنهم يفسدون فى الأرض ولايصلحون ، فصمم على قطع دابرهم وشن الحرب عليهم ، وتشتيت شملهم وتطهير البلاد من آثامهم ، فهب لرفع كابوس الظلم عنا وتحطيم سلاسل الذل التى نرسف فيها ، فحق علينا مساعدته وإعلان الحرب على المستبد الغاصب .

إن جيوش مولاى الأمير أحمس ترابط خلف هذه الأسوا ر ، فتعالوا نقاتل المحتلين ونشق الطريق إلى باب المدينة لنمكنه من اقتحامها ، إنها فرصة قلما تسنح ، ونحن مصريون لاتعوزنا الشجاعة ، ولانضن بالفداء ، فلنغتنمها وآمون معنا .

وركب عربته وأشار لهم ، فتبعه الفرسان ثم المشاة ، واتجهوا إلى باب المدينة الجنوبى .

وظهرت لهم أسوار أواريس ، وكان جنود الهكسوس يتراشقون بالسهام مع جيش الأمير أحمس . فأمر ابن بنب جيشه بالهجوم فانقض الفرسان على جنود الأعداء انقضاض الصاعقة .

ووجد الهكسوس جيش الشمال يطعنهم فى ظهورهم ، فدب الذعر فى صفوفهم وساد بينهم الهرج والمرج واختلط الحابل والنابل ، والتحم الجيشان واستعملت الخناجر والحراب وانتشرت الأشلاء ، وأخذ جنود الهكسوس يدافعون عن أنفسهم دفاع المستميت ، ويدافعون عن باب

المدينة الكبير متكاتفين . ودارت بقرب من الباب معركة حامية الوطيس فشدد ابن بنب النكير عليهم ، وأمسك حربته وراح يطعن بها فى صدور المدافعين .

وأشار لبعض المشاة فتقدموا إلى الباب وفتحوه وانطلق يجرى بعربته نحو معسكر الأميرأحمس . وحاول أحد الجنود المصريين تصويب سهمه إلى الفارس القادم ظنا منه أنه من الهكسوس ، ولكن باك ان آمون كان بجواره فضربه على يده فطاش السهم وهتف به :

ـ ويلك .. إنه ابن بنب .

ولوح ابن بنب لجيوش الأمير أحمس بيده ثم أدار أعنة الجياد ، وعاد صوب المدينة وجيوش الأمير أحمس فى أثره . واشتركت جيوش الأمير فى المعركة الدائرة ، ففر الهكسوس وراح المصريون يجدون فى أثرهم ، ودار القتال فى طرقات المدينة ، واشترك فيه الأهالى فكانوا يمزقون كل هكسوسى يقع فى أيديهم .

وفرت فلول الجيش من أواريس واتجهت صوب الشمال . وخرجت نساء الهكسوس مذعورات وحاولن الفرار واللحاق بأهلهن ، ولكن وقع أغلبهن فى الأسر .

وكان الأمير أحمس وجنوده يطهرون المدينة من الهكسوس ، وهورداديف وابن بنب وبعض الفرسان يجدون فى الوصول إلى قصر الملك لأسره ومنعه من الفرار. وقابلهم آنى فى الطريق وأخبرهم أن الملك فر إلى الشمال ، وأن الأمير أونش يتجهز للفرار ، فما سمع ابن بنب ذلك حتى أرخى لجواديه العنان وانطلق يسابق الريح وهورداديف والفرسان

فى أثره .

واتجه باك ان آمون وديدى إلى معبد الإله سوتنخ ، وفى الطريق انضم إليهما كثير من الأهالى ، ولماوصلوا إلى المعبد أخذ الجنود ينهبون ما به ، وراح ديدى وباك ان آمون يحطمان كل مايقابلهما ، ولم يترك الأهالى المعبد إلا بعد أن صار انقاضا وبات أثرا بعد عين .

وكان الأمير أحمس يطوف فى المدينة، وكلما وجد أثرا من آثار الهكسوس محاه ، والجماهير تهتف له على جانبى الطريق .

ووصل ابن بنب وهورداديف والفرسان إلى قصر الملك ، فألفوا الأبواب مؤصدة والجنود متأهبين للدفاع عن القصر ، فترجل ابن بنب وهوداديف والفرسان وهجموا على الحراس وقاتلوهم حتى تمكنوا من اقتحام الأبواب ، وتمكن ابن بنب من أن يشق له طريقا نحو القصر ، فارتقى الدرج مسرعا .

دخل ابن بنب القصر وجرى فى ردهاته يبحث عن الأمير أونش ، فكان ينتقل من حجرة لأخرى إلى أن لمحه مدبرا فى إحدى الردهات فقبض على درقته بيسراه ، ورفع حربته بيمناه وهتف : أونش .

فالتفت الأمير أونش مذعورا ، فرأى ابن بنب كوحش كاسر قابضا على درقته وحربته ، فارتجف ولكنه استعاد رباطة جأشه وتناول حربته ودرقته ووقف يلاقى غريمه .

قال ابن بنب : لن تفر بعد اليوم .

فأصر الأمير أونش على أسنانه وقال :

ــ جئت لحتفك ، وسيكون هذا آخر أيامك .

وهجم ابن بنب على الأمير أونش وطعنه بحربته ، ولكن الأمير اتقى الضربة بدرقته وصوب حربته إلى صدر ابن بنب ، فتلقاها هذا بدرقته كذلك . واستمرت المبارزة بينهما سجالا ، وكانا يهجم كل منهما على الآخر كأسد كاسر يريد أن ينال منه مقتلا ، وزلت قدم ابن بنب وسقط على ظهره فاستجمع أونش قوته وطعنه بحربته ، ولكن ابن بنب راغ من الضربة وانفتل واقفا وحمل على الأمير أونش فأخذ هذا يتقهقر فى الردهة ، وابن بنب يلاحقه . وظهر عليهما التعب وراح كل منهما يدافع عن نفسه دفاع اليائس المستميت ، وكانا يلهثان بصوت مسموع ، وأخير صوب ابن بنب ضربة قاتلة إلى صدر الأمير أونش ، وقال له :

ـ أونش ! ستذهب للحساب فويل لك من أوزوريس وقضاة محكمته .. أين عرشك ؟ وأين مملكتك التى أسستها فى الهواء ؟ لقد قتلك غرورك وطمعك فاستكبرت وكنت من القوم العالين !

وفى هذه اللحظة أقبل الأميرأحمس يحف به أحمس بن إبانا وباك إن آمون وهورداديف وديدى وحرحور وآنى وبعض الجنود فالتفت الأمير أحمس إلى جثة أونش وقال :

ـ قد لقى جزاءه .

ووصل الجميع إلى قاعة العرش ، فاعتلى أحمس عرش فرعون ووقف الجميع بين يديه . وانسل آنى إلى مكان العبد الأسود جلاد فرعون ، وأخذ السوط ونزل به عليه ففر من أمامه ، وراح يصرخ حتى اقترب من قاعة العرش فوصل صراخه إلى مسامع الأمير أحمس ، فقال لديدى : اذهب لترى ما هنالك .

وقصد ديدى إلى مصدر الصوت فألفى آنى يضرب العبد ، فأشار له أن يكف ، وأخذ العبد وذهب به إلى الأمير وقال : هذا هو العبد الذى جلدنى يامولاى ، وقد كان آنى يجلده الآن .

فقال الأمير : لم يا آنى ؟

ـ لم يمر يوم واحد يامولاى لم يجلدنى فيه .

فقال الأمير : دعوه يكفيه ماناله .

فخرج العبد ، وقال هورداديف : لقد كان آنى يحمل مروحة الملك الفار يامولاى ، وقد انضم إلينا ومدنا بمعلومات هامة مكنتنا من فك أسر ديدى ، وهو الذى كشف أمر الأمير أونش ، وكل أمنيته يامولاى أن يكون حامل مروحة الملك أحمس .

فقال الأمير أحمس : سأمنحه هبة مالية وأقلده عملا أفضل .

فانحنى آنى ، وكاد يقبل الأرض ، ثم تقدم ابن إبانا وقال :

ـ لقد وقع من الهكسوس أسرى كثيرون فى أيدينا .

فقال الأمير أحمس لابن إبانا : كم أسرت ؟

ـ رجلا وثلاث نسوة .

ـ وهبتهم لك ، وأنت ياباك ان آمون ؟

ـ امرأتين يامولاى .

ـ وكم رجلا ؟

ـ لم أقابل رجالا يا مولاى .

فضحك الأمير وقال : وهبتهما لك .

ثم التفت إلى ديدى وقال : وأنت ياديدى كم أسرت ؟

ـ ثلاثة رجال وامرأة واحدة .

فقال الأمير : وهبت الأسرى لآسريهم .

والتفت إلى ابن بنب وقال : وأنت كم أسيرا أسرت ؟

فقال ابن إبانا : إنه هو الأسير يا مولاى .

فقال الأمير : قد فك أسره هورداديف .

فقال ابن إبانا : إنه أسير الأميرة سشن يا مولاى .

فضحك الأمير وقال : وهبت للأميرة سشن أسيرها .

ثم استطرد الأمير : أين سشن الآن .

فقال هورداديف : عندى يامولاى .

ـ أرسلوا فى إحضارها .

فقال ابن بنب : أيأذن لى مولاى أن أحضرها بنفسى .

فابتسم الأمير أحمس وقال :

ـ اذهب أيها الأسير فلا خوف من فرارك .

١٤
الملك أحمس

زينت أواريس بالأعلام وأقيمت بها معالم الأفراح واكتظت شوارعها، وكان البشر يعلو وجوه الجماهير ، واتجهوا رجالا ونساء وأطفالا إلى القصر ليحيوا المنقذ .

وارتفعت أصواتهم بالهتاف لأحمس بطل الاستقلال وملك الوجهين القبلى والبحرى ، فخرج إلى الشرفة فدوى الهتاف والتهليل . وأقبلت الموسيقات وراحت تعزف فى ميدان القصر وطفق الشبان ينشدون أناشيد الحرية .

ودخل الأمير أحمس قاعة العرش ، وأقبل ابن إبانا وباك ان آمون وديدى وهورداديف وحرحور وآنى ، وراحوا يتجاذبون أطراف الحديث ، وأقبل ابن بنب والأميرة سشن وجلسا متجاورين

فقال الأمير أحمس : سنحتفل الليلة بتحرير أواريس ، وزواج الأميرة سشن من ابن بنب .

ووصل السيد إيب إلى أواريس فألفاها لابسة حلة من الفرح والسرور ، ووجد طرقاتها تعج بالجماهير عجيجا ، ورأى معالم الأفراح والبشر فتمتم : شكرا لآمون

وراح إيب يشق طريقه بين الجماهير إلى القصر ، ولما بلغه صعد فى الدرجات مهرولا ، وأسرع إلى قاعة العرش حيث كان الأمير أحمس فانحنى بالباب ، فلما لمحه الأمير قال : إيب .. لم تركت طيبة ؟

ـ جئت أحمل البشرى السعيدة .. لقد منحك الإله أوزوريس وليا للعهد .

فظهر البشر فى وجه الأمير أحمس ، وأخذ الحاضرون يهنىء بعضهم بعضا ، وتمتم الأمير أحمس :

ـ شكرا للسماء ، فقد أتمت اليوم نعمتها علينا .

وراح الأمير يختار لولى عهده اسما فكان كل يقترح اسما وأخيرا وقع الاختيار على اسم أمنحتب . والتفت الأمير إلى إيب وقال :

ـ إذا كان الغد عد إلى طيبة واحمل إليها البشرى السعيدة بشرى تحرير أواريس ، وارع الأمير ة وولى العهد حتى نعود .

فانحنى إيب ، وقال باك ان آمون لديدى :

ـ يالإيب السعيد ! جاء ببشرى سعيدة وعاد ببشرى سعيدة .

فقال ديدى : إنى على استعداد لأن أجود بنصف عمرى فى سبيل حمل إحدى البشريين .

وخرج هورداديف إلى الميدان المواجه للقصر ، فالتفت الجماهير حوله ، فأنبأهم أن الأمير أحمس رزق وليا للعهد وسماه أمنحتب ، فعلا الهتاف للأمير وولى العهد ، ووصل هتافهم مسامع الأمير أحمس فابتسم وقال :

ـ عجبا ! كيف وصل إليهم النبأ سريعا .

وتلفت فلم يجد هورداديف فسأل : أين هورداديف ؟
فقال ديدى : مع الشعب يا مولاى يهتف .
وقال حرحور : هذه طبيعته ، يندمج مع الشعب سريعا .
وقال باك ان آمون : لم يستطع صبرا فأسرع يزف البشرى إلى رفقائه .

* * *

وأتى المساء ، وأضىء القصر واحتلت الفرق الموسيقية مكانها ، وأقبل كبار المصريين ورجال الدين ، وضاق مكان الاجتماع بالعظماء وعلية القوم ، وانتشر أعوان الأمير أحمس فى القاعة .

وفتح الباب وظهر الأمير أحمس ، فانحنى له الجميع بالتحية ، ثم اتجه إلى العرش واستوى عليه ، وأقبل عظماء المدينة يزجون إليه التهانى .

ودخل الخدم يحملون الجعة فى أوانى من ذهب ، فشرب الموجودون، وراحت الموسيقا تعزف والمغنى يشدو بصوته الرخيم ، ثم اصطف ابن بنب وابن إبانا وباك ان آمون وهورداديف وديدى وحرحور أمام عرش الملك ، وجاء الخدم يحملون الأوسمة ، فنهض الملك من مكانه وثبت فى صدر كل منهم وسام الشجاعة الذهبى مكافأة لهم على ما أظهروه من ضروب الشجاعة والتضحية حتى حرروا أواريس .

وبعد قليل دخل ابن بنب غرفة من غرف القصر ، فأبدل ثيابه ووضع فوق رأسه شعرا مستعارا ، وثبت وسام الشجاعة فى صدره وعاد إلى مكان الاجتماع يسير بين باك ان آمون وديدى ، وفى نفس الوقت ،

أقبلت الأميرة سشن فى أبهى زينة يحف بها أوانس جميلات ، فكانت كالقمر بين النجوم ، واتجهت هى والأوانس إلى ناحية من القاعة وجلسن.

وقامت راقصتان وشرعتا ترقصان ، ولما انتصف الليل قام كاهن بعقد زواج الأميرة بابن بنب ، وأهدى الملك أحمس إلى الأميرة قلادة من الأحجار الكريمة ، وإلى ابن بنب خنجرا من الذهب .

وتناول ابن بنب يد الأميرة سشن ،وسارا بين عزف الطبول والناى والدفوف والصنوج ، حتى اختفيا فى جناح من القصر أعد لهما .

* * *

وأستأنف الأميرأحمس الجهاد فخرج من أواريس على رأس جيشه، وأبحر ابن إبانا بالأسطول ، ودارت معارك بين الجيشين فكان المصريون يدحرون أعداءهم فى كل معركة .

وكان الهكسوس يتقهقرون والمصريون يجدون فى أثرهم حتى بلغوا شرحان ، وهى آخر حصن له فتحصنوا بها وأغلقوا أبوابها . وحاصر الأميرأحمس المدينة ، واستمر حصارها ثلاث سنوات ، وأخيرا سقطت تحت ضغط المصريين المتواصل ، وأسر كثير من النساء والأطفال والرجال ، وفر الباقون إلى الشمال ، واتجهوا صوب بلاد زاهى .

خرج الهكسوس من أرض مصر ، فلم يكتف الأمير أحمس بذلك بل أراد أن يستأصلهم ويخضد شوكتهم حتى يأمن جانبهم ، فاقتفى أثرهم وحاربهم فى بلاد زاهى (الشام) نفسها ، فهزمهم شر هزيمة وشتت شملهم .

تم تطهير أرض مصر من المغتصبين ، وأصبحت مصر حرة

للمصريين ، فاستعد الأميرأحمس ليعود إلى طيبة عاصمة ملكه .

وعلم شعب طيبة بوصول الأمير فخرجوا لملاقاة المنقذ والاحتفاء به، ولما لمحوا موكبه ارتفع هتافهم له ، وأسرعوا إليه فحملوه على أعناقهم كما حملوا ابن بنب وابن إبانا وهورداديف وباك ان آمون وديدى وحرحور، والتفوا بعربة الأميرة سشن ، وسار الموكب بين هتاف الجماهير لأبطال الاستقلال إلى أن بلغ القصر ، وكان ولى العهد فى الشرفة يلوح لأبيه بيده ، فأسرع إليه الأمير أحمس وضمه إلى صدره ، فهتف الشعب للملك وأمنحتب ولى العهد .

وأقيمت الزينات ورفعت الأعلام ، واستعدت طيبة ليوم تتويج الملك أحمس ، فوقف الجيش أمام القصر وعلى جانبى الطريق ، وأقبل الشعب لتحية الملك والملكة وولى العهد وهم فى طريقهم إلى المعبد .

وفتح باب القصر وخرج كاهنان يحرقان البخور ، وتبعهما آخر يرتل الأناشيد ، ثم حملة الأبواق ، ثم ظهر الأميرأحمس فى محفته محمولا على أكتاف ابن بنب وابن إبانا وباك ان آمون وديدى وحرحور وهورداديف وغيرهم .

ولما لمحه الشعب ضج بالهتاف ، وسار على جانبى المحفة صفان من الجنود وخلفها الجنود المشاة ، ثم عربة الملكة وولى العهد يجرها جوادان مزينان أبدع زينة ، ثم عربات الأميرات ، ثم ست عربات تحمل سيدات البلاط ، وست أخرى تحمل رجال البلاط .

وسار الموكب حتى اقترب من المعبد ، فدخل عشرون كاهن وعادوا يحملون تمثال الإله مين إله الحصاد والخصب ، ووضعوه على الباب

لاستقبال الأمير .

وصل الموكب إلى المعبد ، فوضعت المحفة على الأرض ونزل منها الأمير ، ونزلت الملكة وولى العهد واتجها إلى المكان المعد لهما .

واتجه الأمير أحمس إلى تمثال الإله مين ، ولما اقترب منه رفع الكهنة الغطاء عنه وراح بعضهم يروح له على وجهه بالمراوح ، وقرب الأمير القرابين إلى التمثال إشارة إلى أنه بدأ حكمه هذه البلاد الزراعية بالتضحية لإله الحقول حتى يبارك الزراعة .

وجىء بثور أبيض هو رمز الإله مين فمر أمام التمثال ، وسار خلف الثور عدد من الكهنة يحملون شارات الملك والشارات المقدسة . وقدم كاهن إلى الأمير محشة ذهبية وسنبلة من سنابل القمح فقطعها بالمحشة وذراها فى الهواء أمام الثور الأبيض إشارة إلى الرخاء الذى يغمر عصره القادم .

وتقدم كاهن وقاد الأمير إلى هيكل يرمز إلى مصر السفلى ، وتقدم آخر على هيئة إله الغرب ، وراح يرش الماء المقدس على وجه الأمير ليطهره ليهب له الحياة السعيدة والصحة والسرور ، وليمنحه القدرة على إقامة أعياد إله الشمس (رع) . وعقب التطهير تقدم كاهن آخر على هيئة صقر يمثل الإله حوريس ، وقاد الأميرإلى هيكل آخر يرمز إلى مصرالعليا ، وقام هذا الكاهن وآخر على هيئة الإله ست ويمثل هذان الكاهنان مصر العليا ومصر السفلى ، بوضع التاج الأبيض تاج الوجه القبلى على رأسه .

ثم خرج الأمير أحمس إلى خارج المعبد يضع التاج الأبيض على

رأسه ، وكان يتقدمه أربعة من الكهنة يحملون أعلاما مقدسة ،

فلما لمحه الشعب هتف لملك الوجه القبلى ، ثم عاد إلى الهيكل نفسه ووضع فوق رأسه التاج الأحمر .

وقدم الكاهن للملك أحمس قطعة من الخشب تدلى من أحد طرفيها نبات البردى (رمز الوجه القبلى) ، ومن الطرف الآخر زهرة اللوتس (رمز الوجه البحرى) وجذب كاهن الزهرة ، وجذب آخر النبات ، فتقابل النبات بالزهرة ، وفى هذا إشارة إلى اتحاد الوجهين القبلى والبحرى فى ظل التاج .

وخرج الملك أحمس من الهيكل ثانية يتقدمه اثنان من حملة الأعلام ، فهتف الشعب للملك أحمس ملك الوجهين القبلى والبحرى .

وقدم أحد الكهنة إلى الملك أحمس مبخرة من الذهب فتناولها وقدم البخور لتمثال الإلهين .

وتقدم كاهن آخر وتناول أربع أوراق من ورق البردى ، وكتب أن الملك أحمس أصبح (حوريس) ملكا ، ومنح التاج الأبيض والأحمر ، ثم ربط الورقات الأربع فى رقاب حمامات أربع وأطلقها لتحمل إلى السماء بشرى تنصيب الملك أحمس ملكا على مصر .

للمؤلف

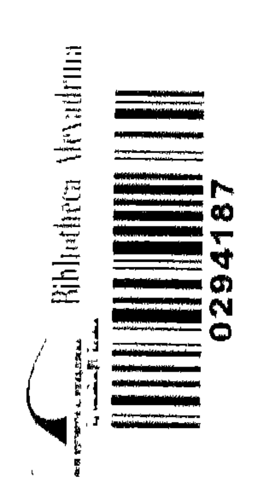
- أحمس بطل الاستقلال
- أبو ذر الغفارى — ترجم إلى الاندونيسية
- بلال مؤذن الرسول
- فى الوظيفة — (مجموعة أقاصيص)
- سعد بن أبى وقاص
- همزات الشياطين — (مجموعة أقاصيص)
- أبناء أبى بكر الصديق
- فى قافلة الزمان — (رواية)
- أميرة قرطبة — (قصة)
- النقاب الأزرق — (قصة)
- المسيح عيسى بن مريم
- أهل بيت النبى
- محمد رسول الله

تأليف : مولاى محمد على
ترجمة بالاشتراك مع مصطفى فهمى

- قصص من الكتب المقدسة — (مجموعة أقاصيص)
- صدى السنين — (مجموعة أقاصيص)
ترجمت إلى الاندونيسية
- حياة الحسين
- الشارع الجديد — (رواية)

الترقيم الدولى ٣٤٤٥ ــ ٨٢
الترقيم الدولى ٤ ــ ٤٢٠٠ ــ ١١ ــ ٩٧٧

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة



دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

الثمن ٢٠٠ قرش